



السيد محمد علي العلوي

الغدير

ومسؤولية المشروع الإلهي

الغدير

ومسؤولية المشروع الإلهي

السيد محمد علي العلوي

الطبعة الأولـى

١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ م

هوية الكتاب:

❋ الكتاب : الغدير ومسؤولية المشروع الإلهي

❋ المؤلف: السيد محمد علي العلوي

❋ الطبعة الأولى : ١٤٣١ هـ/ ٢٠١٠ م

❋ تصميم وإخراج : البروج ميديا

❋ هاتف : +٩٧٣ ١٧ ٦٩٤٢٧١

❋ نقال : +٩٧٣ ٣٦٦١١٨٦٥

❋ البريد الإلكتروني : albrooj.media@gmail.com

❋ الموقع الإلكتروني : albrooj.net


بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين ۝ الرحمن الرحيم ۝
مالك يوم الدين ۝ إياك نعبد وإياك
نستعين ۝ اهدنا الصراط المستقيم ۝
صراط الذين أنعمت عليهم ۝
غير المغضوب عليهم ولا الضالين ۝

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

إهداء

ليس لغير قلب سيدتي ومولاتي أم الحسن والحسين

إلى الزهراء البتول فاطمة

أهدي هذا القليل

برجاء القبول والجزاء بالكثير

والكثير عندك يا سيدتي قليل.. قليل

فالحمد لله رب العالمين على نعمة الولاية

لك أيتها الصديقة الطاهرة أهدي هذه الغديريات..

محمد

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على اعدائهم وأعداء شيعتهم إلى قيام يوم الدين.

يهتم الشيعة (أيدهم الله) اهتماماً بالغاً بالشعائر الولائية الخاصة بأهل بيت العصمة عليهم السلام، ففي كل عام هناك ما لا يقل عن أربع وعشرين إحياء بين ذكرى مولد وذكرى استشهاد، والمستند في ذلك قول الإمام الصادق عليه السلام لخيثمة: "يا خيثمة، اقرأ موالينا السلام وأوصهم بتقوى الله العظيم، وأن يعدو غنيهم على فقيرهم، وقويهم على ضعيفهم، وأن تشهد أحياؤهم جنائز موتاهم، وأن يتلاقوا في بيوتهم، فإن لقاءهم حياة لأمرنا، ثم رفع يده فقال: رحم الله من أحيا أمرنا "[1]، وغيره من الروايات الحاضة على إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام بشتى الوسائل والصور المشروعة.

إلا أن الذي يقلقني هو ذهول الناس عن المضامين الحية في أمر أهل البيت عليهم السلام واهتمامهم فقط بالصورة الإحيائية من حيث البذل والإنشاد والتجمهر مع أفضل الخطباء وأرباب النعي مما أدى إلى عدم شعور المجتمع بأي تعارض بين أمر أهل البيت عليهم السلام وبين الانتشار السريع للباطل والمفاسد، فأصبح الأول وكأنه شيء خاص لا علاقة له بالثاني، وكأن المعصومين عليهم السلام ليسوا الممثل الرسمي للحق في قبال الباطل والمفاسد.

١ – مستدرك الوسائل – الميرزا النوري – ج ٨ – ص ٣٢٤

يقلقني جداً تحول أمر أهل البيت عليهم السلام لمجرد أنشودة أو تعزية، في الوقت الذي يسجل لنا القرآن الكريم وسير المعصومين عليهم السلام الفلسفة الواضحة للدين، وهي المواجهة الدائمة والجادة بين الحق والباطل، وهذا يشعر بوجود خلل في العمق الفكري عند جمهور الشيعة المتأخرين (أعزهم الله).

من ضمن الشعائر التي يحرص الشيعة على إحيائها في كل عام ذكرى العيد الأعظم، وهو يوم الغدير الأغر، ذلك اليوم الذي نصب فيه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام خليفة من بعده بأمر من الله سبحانه وتعالى، وقد استوقفتني حادثة الغدير بما فيها من مضامين عالية تحتم علينا تأملها جيداً، فهي ومن الوهلة الأولى تشير إلى حتمية وجود خلل فكري مع هذه الحالة الهلامية التي نعيشها في إحياءاتنا الشعائرية، إذ أن العنوان الأول للغدير هو عنوان الحق في قبال الباطل، وعنوان التضحية في سبيل إعلاء كلمة الغدير، ولكنه وبنظرة سريعة إلى واقعنا، نفهم جيداً بأننا على بعد فراسخ عن المفاهيم الغديرية التي صرح بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

في هذه الصفحات سجلت جانباً من تأملاتي في منعطف الغدير وما يحمله من خطوط رسمت بكل دقة ليلتزمها الموالي في مسيره الدنيوي، هذا واستمد العون من سبحانه وتعالى، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

محمد علي العلوي

التاسع من ذي الحجة ١٤٣١هـ

البحرين

التأصيل بين الخلافة والولاية

يتفق المسلمون على أن المحور في الإسلام على المستويين العقائدي والفقهي هو الإنسان بما هو خليفة لله تعالى في هذه الأرض؛ وهذا صريح في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1]، مما يعني أن كل بحث أو تدارس يبتعد عن هذا الميزان الأصل فهو بعيد عن الموضوعية التي أرادها الخالق سبحانه وتعالى للفكر البشري، فنحن عندما نبحث في اتجاه من الاتجاهات العلمية سياسية كانت أو تربوية أو اقتصادية أو غيرها، فإنّ بحثنا لا يمكن أن يستقيم ويثمر في حسابات الواقع إذا لم يكن متمحورًا حول موضوعية الإنسان من حيث أنه خليفة لله تعالى في هذه الأرض.

إن هذه الخلافة الإلهية التي جعلها الله تعالى في إنسان الأرض تتصور حسب معطيات العقائد ومقدمات الفكر الإسلامي في ثلاث صور، أو فلنقل هي أقوال ثلاثة:

الأول: أن الخليفة هو المعصوم فقط.

الثاني: أن الخليفة هو الإنسان ومن أفراده المعصوم.

---

١ – سورة البقرة ٣٠

الثالث: أن الخليفة هو المعصوم عليه السلام ومن بعده تنتقل الخلافة إلى الناس إما فرادى أو في المجموع.

ليس من مسائل هذا الكتاب بحث الصائب من الأقوال الثلاثة خصوصًا وقد تحققت المسألة الأصل من مسائله بقيمومة القدر المتيقن من موضوع الخلافة الإلهية في الأرض وهو المعصوم عليه السلام، ألا ترى أنه موجود في الصور الثلاث لا يخرج عن واحدة منها؟

نعم، يفهم الشيعة الإمامية (أيدهم الله) هذا التواجد الأصيل للمعصوم عليه السلام في المواضيع المحتملة للخلافة أنه تواجد تكويني مرتبط بأمر هذه الأرض وبقائها، فسواء سرت الخلافة في الناس أم انحصرت في المعصوم فهذا لا يؤثر في أصل الكلام وخصوصًا أنهم (أيدهم الله) يعتقدون اعتقادًا يقينيًا بوجود الإمام المعصوم عليه السلام مادامت الأرض، وبالتالي ففعلية قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾[1] مستمرة بقوتها كما كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكذلك الحال بالنسبة لقوله عزّ وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[2]، وتفصيلات هذا البحث موكلة إلى كتب العقائد سواء كلاميًا أو فلسفيًا.

١ – سورة المائدة ٥٥

٢ – سورة النساء ٥٩

إن هذا المخلوق العاقل المدرك المفكر الذي حمّله الله تعالى مسؤولية عظمى وهي مسؤولية الخلافة الإلهية في الأرض حريٌّ به أن يكون واعيًا لما حُمل مدركًا لعظم ما يحمل، وهذا متحقق بالبداهة في المعصوم المطهر من كل رجس ودنس، وهو صريح قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1]، وقد ترجمت السيرة المباركة للأئمة الأطهار عليهم السلام هذا الوعي بما لا يقبل أدنى حرف ولا يحتاج إلى تكلف التأويل والتوجيه، فالقضية هي هي من يوم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتبقى بحكمة الله عز وجل إلى زمن الظهور المقدس لمولانا القائد المظفر إمامنا المهدي المنتظر (أرواحنا فداه)، وهي قضية المواجهة بين الحق الإلهي والباطل الإبليسي، ولا شيء غير ذلك مطلقاً.

فلنلاحظ التالي:

الحق: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾

الباطل: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾

الحق: ﴿وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

الباطل: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ

١ - سورة الأحزاب ٣٣

سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾

وهكذا تستمر الأحداث بين رب يريد الحياة الكريمة لعباده، وإبليس يريد لهم العذاب والضياع، ومعادلة الحق والباطل معادلة دقيقة جدًا تحتاج إلى قيادة فكرية على درجة عالية من الوعي والإدارك، وإلا فخبث الشيطان غالب كما غلب أبانا (الإنسان) فأخرجه من الجنة نادمًا متحسرًا، وهذه القيادة الفكرية الراقية هي روح الولاية الممتدة من السماء ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ﴾ والسارية في رسول السماء ﴿وَرَسُولُهُ﴾ إلى أوصيائه المعصومين ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾، لذا فإن الولاية تاج إلهي يضعه الله تعالى على رأس الإنسان العاقل الذي يدرك الضعف الذي يعانيه فيبحث عن المخلص ليجده في هذا التاج فيسأل الله تعالى التوفيق للدخول تحت رونقه الفريد.

من هنا تتضح لنا قاعدة كبرى، هي:

الولاية الإلهية تكون للمُخَلِّصِ من الباطل دائماً والمتمسك بالحق المدافع عنه أبداً.

من المهم هنا أن ندرك الفرق بين الخلافة في قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، وبينها في قوله ﷺ: «إن ابن عمي علياً هو أخي ووزيري، وهو خليفتي»، فالخلافة الأولى خلافة مباشرة لله تعالى، وهي للمعصومين تكوينية ولغيرهم تشريعية، أما الخلافة الثانية فهي خلافة لله تعالى بتوسط الرسول الأكرم ﷺ وهي محصورة في المنصوص عليهم فقط.

بعد هذا البيان نأتي لتوضيح الفرق العملي بين الولي والخليفة بالخلافة الأعم من التكوينية والتشريعية.

أما الولاية فهي بمثابة المرسوم من الله تعالى، والقدر المتيقن منها هو ما صرح به رسول الله ﷺ في قوله: «ألست أولى بكم من أنفسكم؟»، وهذا المرسوم يكون فعليًا وساريًا تطبيقًا وممارسة بالخلافة، فإذا ثبتت الولاية لأحد تبعتها الخلافة بالتلازم، وأعني هنا الخلافة الإلهية.

والفصل بين نوعي الخلافة هو أن:

* الخليفة الولي واجب الاتباع بأمر السماء ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[١].

* أما الخليفة بالخلافة التشريعية فاتباعه بحكم العقل، بل بحكم الفطرة السوية.

١ - سورة الأنعام ١٥٣

يتركز كلامنا عن الخليفة الولي، وقد جسد دوره المعصومون عليهم السلام من الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلى الإمام المهدي المنتظر (أرواحنا فداه).

لا خلاف بين المسلمين في أن المصداق الأكمل والأتم لصاحب هذه الولاية هو الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وينفرد الشيعة الإمامية (سدد الله خطاهم) بامتداد هذه الولاية في أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فقد قال أبو عبد الله عليه السلام: «لما نزلت هذه الآية في الولاية، أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالدوحات في غدير خم فقمن، ثم نودي: الصلاة جامعة، ثم قال: أيها الناس، من كنت مولاه فعلي مولاه، ألست أولى بكم من أنفسكم؟

قالوا: بلى.

قال: من كنت مولاه فعلي مولاه، رب وال من والاه، وعاد من عاداه. ثم أمر الناس يبايعون علياً»[1].

هذا في الولاية وسريانها في المعصوم عليه السلام، وتؤكدها قطعًا الوصية بالخلافة وما لازمها من وصايا لا تترك مجالاً للشك إلا وأزاحته، فعن ابن عباس، قال: «صعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المنبر فخطب، واجتمع الناس إليه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: يا معشر المؤمنين، إن الله عزّ وجل أوحى إلي أني مقبوض، وأن ابن عمي عليًا مقتول، وإني -أيها الناس- أخبركم خبرًا، إن عملتم به سلمتم، وإن تركتموه هلكتم.

١ - قرب الاسناد - الحميري القمي - ص ٥٧

إن ابن عمي عليًا هو أخي و وزيري، وهو خليفتي، وهو المبلغ عني، وهو إمام المتقين، قائد الغر المحجلين، إن استرشدتموه أرشدكم، وإن تبعتموه نجوتم، وإن خالفتموه ضللتم، وإن أطعتموه فالله أطعتم، وإن عصيتموه فالله عصيتم، وإن بايعتموه فالله بايعتم، وإن نكثتم بيعته فبيعة الله نكثتم.

إنّ الله عزّ وجل أنزل علي القرآن، وهو الذي من خالفه ضل، ومن ابتغى علمه عند غير علي هلك.

أيها الناس، اسمعوا قولي، واعرفوا حق نصيحتي، ولا تخلفوني في أهل بيتي إلا بالذي أمرتم به من حفظهم، فإنهم حامتي وقرابتي وإخوتي وأولادي، وإنكم مجموعون ومساءلون عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

إنهم أهل بيتي، فمن آذاهم آذاني، ومن ظلمهم ظلمني، ومن أذلهم أذلني، ومن أعزهم أعزني، ومن أكرمهم أكرمني، ومن نصرهم نصرني، ومن خذلهم خذلني، ومن طلب الهدى في غيرهم فقد كذبني.

أيها الناس، اتقوا الله وانظروا ما أنتم قائلون إذا لقيتموه، فإني خصم لمن آذاهم، ومن كنت خصمه خصمته، أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم. وصلى الله على رسوله محمد وآله»[1].

---

١ - الأمالي - الشيخ الصدوق - ص ١٢١ - ١٢٢

□ مهمة الخليفة الولي:

هنالك مساحة فراغ يتحرك فيها إبليس وجنوده لغواية الإنسان وإبعاده عن طريق الحق والصراط المستقيم، وللتخلص من هذه المساحة يحتاج الإنسان إلى ركن يلجأ ويسند ظهره إليه، وهذا الركن هو الذي يعبر عنه الله تعالى بقوله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾[1]، وكذلك بقوله: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[2].

إن هذا الحبل وهذه العروة الوثقى يمثلان قوة الحق التي يستمدها الإنسان من الله عزّ وجل، ولا يمكن لهذه القوة أن تكون غير الأسماء والصفات الإلهية التي كلما استحكمت في الواحد كلما كان ممثلاً واقعيًا لله سبحانه وتعالى في هذه الأرض من خلال مقام الخلافة.

□ الخليفة الولي هو إمام القلة:

نؤسس في هذه المقولة على مجموعة كبيرة جدًا من الآيات القرآنية الواضحة في ذم مجتمع الكثرة ومدح مجتمع القلة، وليست الكثرة والقلة هنا من المعايير السارية في كل مجتمع ينقسم في كثرة وقلة، ولكن المعتمد

---

١ - سورة آل عمران ١٠٣

٢ - سورة البقرة ٢٥٦

هو الجو العام بين الحق والباطل اولاً، وبين الحق البيّن وما يُتكلف إلباسه ثوب الحق ثانيًا، أما الأول فواضح جلي، والثاني متستر خفي، وفي كلتا الحالتين فالحق في حاجة إلى من يحافظ على بروزه وظهوره حتى في أحلك الظروف كتلك التي يرتفع فيها الناصر كما كان في الجنة عندما قاسم إبليس آدم وحواء، وأطاعاه فسيطر الباطل فكان الإهباط إلى الأرض.

إن سبب الكثرة في الاجتماع على الباطل إنما هي معلولة لقوة وتنمُّر النفس الأمارة بالسوء، وضعف وتهالك النفس اللوامة الناصحة المقومة في قبالها، والحال أن الغلبة في هذا الصراع معلقة على أئمة كل حزب من جهة، وإرادة الاتباع من جهة أخرى.

أما إمام الباطل والفساد فقد تفرغ منذ الخلق الآدمي الأول لغواية الإنسان والإطاحة به في ميادين التحدي بين الحق والباطل، وأما الحق فقد نصب الله له أئمة يهدون إليه بأمره، وهم المعصومون عليهم السلام كما هي عقيدة الشيعة الإمامية (أيدهم الله).

ولكن هذه المعادلة في المواجهة وقوة الاقتداء تحتاج إلى بيان نقطة مهمة جدًا فيها، وهي أن وقوع الإنسان بين جبهتي الحق والباطل هو في حقيقته وقوع بين الهمة والاستسلام، حيث إن تبلد الإنسان في العزيمة يعني عدم خضوعه أو عدم احترامه لقوانين القيم وموازين الأخلاق بمقدار ضعف العزيمة و وهنها، فاتباع الباطل لا يحتاج إلى قوة ومواجهة، ولذلك فهو أقرب إلى الطينة البشرية.

أما الحق فهو الذي تقصده الروح بخطوات جهد يتخلص بها الإنسان من أغلال الباطل، وهنا يحتدم الصراع وتصطك أسنة المواجهة بين قوتين إحداهما تجذب إلى الأرض، والأخرى تحلق بمن يعانقها إلى السماء، والحاجة الدائمة بينهما إلى قرار صائب هي حاجة مصيرية، سفينة النجاة فيها رجحان العقل وقوة النظر، وميزان ذلك مقدار الإئتمام والاتباع للقائم بالحق، وهو الخليفة الولي الممثل للقيم الإلهية في هذه الحياة الدنيا، وبذلك يكون هذا الخليفة الولي وهو المعصوم عليه السلام خليفة بالأصالة، ومن يتبعه ويتمسك بنهجه خليفة بالتبع.

مما تقدم نفهم جيدًا أن ميزان العمل في هذه الحياة الدنيا هو الحق والباطل، فالحق يُتبع ويُدافع عنه للمحافظة على قيمومته، والباطل يُجتنب ويُحارب حتى لا يستقوي، ولازم هذا -كما هو واضح- التزام الخليفة الولي التزامًا دقيقًا بالحق فلا تردد فيه ولا اجتهاد في قباله على الإطلاق، وليُعلم أن أي اجتهاد ظاهر كان أو خفي فمنشأه وبلا أدنى شك الميل إلى النفس، وهو الميل الذي يؤدي -غالبًا- إلى تحريف وتشويه لسيرة الولي الخليفة، وخطورة هذا التشويه والتحريف إذا كان من الخطوط المتصدية أو المنبرية لإيصال مختلف علوم المعصومين عليهم السلام أنه يمتد في ثقافات الناس بهدوء حتى تتحول موضوعاته إلى ثوابت لا يُقبل المساس بها حتى لو كان مساسًا علميًا تحقيقيًا.

لذا فإن الاحتكام المستمر إلى السيرة الموضوعية للثقلين هو الذي يوفر الصيانة الصحيحة لفكر المجتمع وثقافته.

نعود لنؤكد من جديد على أن فرقانية القرآن والعترة قائمة على دقة الفصل بين الحق والباطل من جهة، والمواجهة بينهما من جهة أخرى، فالقضية قضية صراع دائم لا هدنة فيه على الإطلاق، وهذا ما نفهمه جيدًا إذا استوعبنا طبيعة الوجود الخارجي لكلا الاتجاهين، فالحق والباطل من طبيعتهما التمدد والانتشار أفقيًا في السلوكيات العامة ورأسيًا في الثوابت والقناعات، فما إن يهدأ الحق حتى يغزو الباطلُ مساحاته، وما إن ينام الباطل حتى يسارع الحق إلى الأخذ بزمام القيادة، وهذا هو المتصور الساذج، وإلا ففي الواقع أن حركة الحق تستفز الباطل، والعكس بالعكس صحيح، وبالتالي فهي قضية وجود وبقاء وهيمنة، وهذا هو السر في أن الباطل يمتلك مهارة عالية جدًا في اغتيال الحق مهما كان حاله، فلو شهر الحق سيفًا، لعب الباطل الاعيبه للإطاحة به، ولو رفع الحق قلمًا، استمات الباطل في تجفيف حبره أو كسره، ولو تفرغ الحق للدعاء والمناجاة، ابتكر الباطل فنونًا لخنقه وتفريغ محتواه..

نعم، لا يرتاح الباطل إلا إذا تحول الحق إلى حالة جوفاء مفرّغة من كل قيمة رسالية أصيلة.

نظرة في غديرية الحركة الرسالية للمعصومين عليهم السلام

يعيش الباطل حالة عميقة من القلق ما دام في الحق قلب ينبض، وهذا ما يفسر لنا قول الخليفة الولي المعصوم عليه السلام: «ليس منا إلا مقتول أو مسموم»، فقد مارس الأئمة أدوارًا رسالية مختلفة إليك بيانها مختصرًا مع ما تعرضوا له من محاولات وخطط ترمي جميعها إلى سحق الحق واستئصاله:

□ **الرسول الأعظم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم:**

يأس الباطل من محمد صلى الله عليه وآله وسلم فاستخدم أحد جنوده وعمّاله لدس السم إليه فمضى شهيدًا وشاهدًا، وذلك بعد أن سجل التاريخ جولات من المواجهة بين الإنسان (محمد والصادقين ممن معه) وإبليس (كل من خرج عن دائرة الإنسان)، وكان فيها تعالي قدم الحق موجعًا جدًا للباطل الذي غرق في حالة رهيبة من القلق والخوف، ومن المعروف أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لم يحمل سيفًا إلا للدفاع و رد التعدي، ولكنه أرهب الخصوم بقوة العلم وسيلان العمل التوعوي في مختلف زوايا المجتمع حتى أخذ بالانتشار في الأقطار والبلدان من غير سيف ولا

رمح، عندها أدرك (الباطل) أنه مهزوم لا محالة، ولا طريق للالتفاف على الوضع إلا بالتخلص من محرك العمل الرسالي من جهة ودفع الأمة نحو إقصاء العاملين الصادقين ممن معه[1].

□ **الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:**

عندما تحركت قوى الشيطان للتخلص من النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكان أن دس له السم فرحل عن هذه الدنيا شهيدًا محتسبًا، لم يكن ذلك بدافع التخلص من الإسلام، وذلك لأسباب منها :

أولاً: لأن الإسلام ضرب بقوة في العمق الفكري والسلوكي للناس، ولم يعد من المقبول التفكير في محاربته بغرض الإزالة.

ثانيًا: من الممكن أن يكون الإسلام مورد ثروة هائلة لمن يجيد فن التسلط والاستبداد باسمه وتحت عناوينه بتوجيهات وتبريرات تقوائية تدينية!!

لذا فإن التخلص من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان لغرض خلق فجوة في التطابق بين الدين والقيادة الدينية المتمثلة في رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا لا يمكن أن يستقيم لهم مع وجود علي بن أبي طالب عليه السلام؛

١ - سوف نستعرض خطبة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كاملة في يوم الغدير لترى كيف أنه (صلوات الله وسلامه عليه وآله الطاهرين) أتقن محاصرة الباطل من كل صوب وحدب بإرسائه الولاية لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقد بين رسول الله ﷺ مكانة علي عليه السلام فقال بأنه نفسه، وقال بأنه خليفته، وأنه وصيه، وأنه المؤدي عنه، وأنه وزيره، وأنه ولي الله، وهذا البيان كان موزعًا على سنوات الرسالة منذ انطلاقها وحتى لحظة رحيله ﷺ، فالهدف من إبعاد النبي والتخلص منه لا يكتمل طالما وُجد من ينوب عنه نيابة تامة ويحل محله ويؤدي عنه بشكلٍ مطلق.

لقد وعى الشيطان خطورة أن يكون علي بن أبي طالب عليه السلام على رأس الدولة الإسلامية من بعد رسول الله ﷺ، فما كان منه إلا أن تخلص بالسم من محمد ﷺ وغدر بعلي في سقيفة بني ساعدة، فهل انتهى الأمر مع أمير المؤمنين عليه السلام بانقلاب السقيفة؟

لو كان الأمر قد انتهى لما جدد الشيطان نشاطه في التخلص من الحق عندما اغتاله في محراب الصلاة ليلة الواحد والعشرين من شهر صفر سنة ٣٥ هجرية.!

نعم، لقد استمر أمير المؤمنين عليه السلام في إقلاق الشيطان وجنوده بخطبه البلاغية المزلزلة، وببياناته الصريحة في جبهويته، وقد كان مصدر خوف للشيطان بثقافته التي تشربتها حتى الجمادات فضلاً عن العاقل من المخلوقات مما اضطر الخليفة الثاني للتصريح في غير مكان بأن لا أبقاه الله لمعضلة ليس لها علي بن أبي طالب عليه السلام، ولم يكن هذا التصريح إلا بدافع من استراتيجية الإسقاطات النفسية التي لا تنطلي إلا على ضعاف الفكر..

استمر الحال والشيطان يشهد أن العمود الفقري للقيادة في الدولة الإسلامية كان علي بن أبي طالب عليه السلام، فحاول أولاً ضربه من خلال التعدي على حرمه عندما هجم على الدار وطالت يده الغادرة سيدة نساء العالمين من الأولين والآخرين الزهراء البتول بضعة المصطفى الأمين عليهما السلام، فغصب فدكها وأسقط جنينها وكسر ضلعها وفطر قلوب أطفالها، إلا أن كل هذه الجرائم التي تنوء بها الجبال العظام لم تكن لتؤثر في القلب الرسالي الشامخ لأمير المؤمنين عليه السلام لأن الهدف الأول والأخير الذي يسعى إليه هو سلامة دينه، فازداد إصرارًا على ترسيخ وصمة العار في صفحات التاريخ الشيطاني بحيث لا تتمكن أقلام التزييف والتزويق والتحريف من إزالتها.

هكذا وحتى انقضت الثلاثون الأولى ليعود الحق إلى صاحبه بعد أن أحدث العهد الثالث إنحرافًا خطيرًا جدًا في مسيرة التاريخ الإسلامي عندما حول أنظار المسلمين واهتماماتهم صوب بيت المال وإشغالهم بالتخطيط في التقرب من الأسرة الحاكمة التي تنال من العطايا ما لا تناله كل الدولة الإسلامية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى إشعال فتيل الكراهية والضغينة في قلوب المستضعفين الذين يرون الحرير والمجوهرات وريش النعام يمشي عليه آل أمية، وهم مشغولون بترقيع ثيابهم وادخار شربة لبن لأبنائهم، فهذه الحالة تعطي مجالاً أكبر لتجاوزات الشيطان حيث إنه يفكر في حصنه آمنًا، والناس يتخبطون في كره مجرد دون تنظيم أو رعاية للظروف الموضوعية.

عاصر أمير المؤمنين عليه السلام هذه الفترة العصيبة وهذا المنعطف الخطير من تاريخ الدولة الإسلامية بحكمته الراقية ونظره الثاقب، فهو قد أثار حفيظة الشيطان بشكل كبير جدًا عندما بدأ بتنظيم الرساليين الخُلّص تنظيماً إيمانيًا يحافظ به على رسوخهم الرسالي وشموخهم الفكري، فكان أبو ذر وسلمان وعمار وابن الأشتر نواة لنهضات إيمانية تستمر إلى يوم القيامة.

تسلم علي عليه السلام الخلافة رسميًا بعد الخليفة الثالث لخمس سنوات اجتهد فيها الشيطان ساعيًا في إنهاكه عليه السلام فكانت ثلاث حروب طاحنة ومتلاحقة ابتداءً من الجمل وحتى النهروان مرورًا بصفين، فهذه الدولة التي سيطر على مفاصلها إبليس الرجيم لم تعط عليًا عليه السلام فرصة يعيد فيها الروح إلى الفكر الإسلامي الذي لعبت فيه الدواهي ألاعيبها، وبالرغم من ذلك يسجل لنا التاريخ أنه عليه السلام تمكن بجدارة فائقة من إحلال العدل وإنصاف الداني والقاصي، وهو الإصلاح الأول من بعد الخراب الذي أحدثه القائمون على الأمر في العهد الثالث من الخلافة.

حينها فهم الشيطان جيدًا بأن عليًا عليه السلام لو بقي في هذه الدنيا لكان طريق العودة إلى الجنة التي أخرج منها آدم عليه السلام قريباً جداً، وهذا مقلق له، وعليه فلا سبيل إلا باستخدام ذاك السلاح الخبيث الذي استخدمه منذ القدم مع الأنبياء والرسل والأولياء والصالحين، وهو سلاح قلب المفاهيم أولاً ويتبعه سلاح الاغتيال ثانيًا، فكانت البداية

بتسخير كل ممكن من إعلام وعسكر وأياد أخطبوطية لخدمة حكومة الشام، واستخدام آثارها في اختراق جبهة الكوفة على وجه الخصوص.

لم يعي جمهور المسلمين هذا المخطط الشيطاني الخبيث بالرغم من المحاولات الجادة لأمير المؤمنين عليه السلام والقلة الصالحة ممن معه في كشفه وفضحه، ويغنيك لإثبات ذلك ما نقله الشريف المرتضى قدس سره في النهج الشريف نهج البلاغة الخالد من خطب ورسائل ومواعظ أغنى بها علي عليه السلام الفكر الرسالي المتوثب لنصرة الحق دائماً، أما من أشغلته الحياة بمشاكلها المصطنعة و وعودها الكاذبة فقد أقفل عن تنبيهات أمير المؤمنين عليه السلام قلبه، وصم عن إنذاراتها سمعه.

يكفيك في المقام تأمل هذه الكلمات النافذة لأمير المؤمنين عليه السلام.. قال:

(أما والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لولا حضور الحاضر، وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها، ولألفيتم دنياكم هذه أزهد عندي من عفطة عنز)[1]

إنه مقطع من شقشقة علي عليه السلام يبين المأساة التي تقبل عليها الأمة بمحض إرادتها، وفي نفس الوقت يشير إلى مسؤوليته التي لا يمكن له تركها خصوصاً وقد قامت الحجة بوجود الناصر..!

١ – نهج البلاغة – خطب الإمام علي (ع) – ج ١ – ص ٣٦ – ٣٧

وبالرغم من هذه المأساة الفكرية المستشرية لم يتراجع الحق عن ممارسة دوره في مواجهة الباطل بالكلمة البليغة والتنظيمات الإيمانية المنيعة، وهذا ما جعل القلق يتمكن أيما تمكن من قلب الباطل الشيطاني حتى جنّد أحد أفراده لاغتيال أمير المؤمنين عليه السلام وهو في محراب صلاته مع أذان فجر يوم جديد، ويا لها من دلالات مهمة تكشفها لنا ظروف هذه الحداثة، فمن جهة يقتل علي بن أبي طالب عليه السلام والكل يعرف من هو علي بن أبي طالب عليه السلام الذي لو قُتلت نفوس الأولين والآخرين لما عادلت كفتها قطرة دم تراق من نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ووصيه وخليفته من بعده، وهذا يعلمه كل صحابي وبنفس المستوى من الدقة، ولكن ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً﴾[1]، وقتل ولياً من نوعية علي بن أبي طالب عليه السلام يعني وبشكل مباشر أن القاتل يريد قتل الله سبحانه وتعالى، وهو محال معلوم، ولذلك فهو يريد قتل كل ما يمثل وجودًا له عز وجل في هذه الدنيا، وهذا بُعدٌ من أبعاد قوله تبارك ذكره ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾[2]، ومن جهة أخرى فإن اختيار محراب الصلاة مكانًا لارتكاب هذه الجريمة النكراء يدل أيضًا على حالة من الانسلاخ عن الحق وإرادة استبداله بحق آخر يصنعه القاتل ومحركوه من عبدة الشيطان الرجيم، وهذا ما نقصده دائماً بالمخطط العالمي لقلب المفاهيم. فتأمل جيدًا.

---

١ - سورة النمل ١٤

٢ - سورة التوبة ٣٢

ثم أن اختيار الفجر كتوقيت للجريمة له أكثر من دلالة قد يكون علماء النفس أدق منا في الكشف عنها، إلا أن الواضح عندنا هو أن المجرم المبارز للحق يختار الفواصل البرزخية لتحركاته الشيطانية، فالليل ظلمة تسكن الهمم، والصباح ضياء بروح جديدة وحركة مولودة، فما ستر عليه الليل ظهر في النهار مولودًا على غير ما كان عليه، فالشيطان يحب هذا النوع من الفواصل البرزخية، وبالتالي فإن العامل في مثلها من الراجح جدًا أن يكون شيطانًا رجيمًا، ولست هنا أشير إلى البرزخ الواقع بين الليل والنهار تحديدًا، فهو مصداق لا أكثر، وإلا فالمفهوم واسع جدًا في مصاديقه.

إن علياً عليه السلام كان مصدر قلق واضطراب يعصف بقلوب الشياطين، ولذلك فاز ورب الكعبة بالشهادة في محراب الصلاة.

□ سيدتنا ومولاتنا الزهراء البتول فاطمة عليها السلام:

بدموع القلب وشموخ الروح الرسالية أذكر نفسي والقارئ الكريم بالذي صنعته بنت أبيها (روحي فداها) في القوم حتى أنها وهي المرأة تعرضت للضرب على أيدي الخبثاء لأكثر من مرة، فلماذا تُغصب الزهراء عليها السلام إرثها وهي إمراة؟ ولماذا تُضرب الزهراء عليها السلام وهي إمرأة؟ ولماذا تُخرج من دارها إلى بيت الأحزان وهي إمرأة؟ ولماذا يطلب غاصب حقها وضاربها عفوها وصفحها وهي إمراة؟

ليس من جواب موضوعي غير أنها كانت الممثل الرسمي للحق والحقيقة بجانب بعلها وولديها عليهم السلام، فهم والله.. هم من يخشع الوجود بما فيه رضًا وقهرًا عندما تنبلج القلوب على الحقائق التي يختزنها قول الحق تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[1]، فالزهراء عليها السلام كانت أول اللاحقين بأبيها صلى الله عليه وآله وسلم لأن القوم يعون معنى كونها أم أبيها، وأنها بضعة منه، وأن الصلاة من الله تعالى عليها ثم على أبيها وبعلها وبنيها، فهم يعلمون جيدًا محوريتها في العمل الرسالي الناهض، ودونك في الاستدلال على ذلك خطابها البلاغي الذي هزت به أركان الظلم والغصب في مسجد أبيها صلى الله عليه وآله وسلم وبين نساء المهاجرين والأنصار، فقد كانت عليها السلام امتزاجًا رساليًا رائعًا بين العاطفة الجياشة والفكر المدافع الذي لا يهادن أبدًا، فمن جهة كان أنينها على فقد والدها صلى الله عليه وآله وسلم والانقلاب على وصاياه موجهًا بالكشف عن الحقائق التي يحاول الشيطان سحقها، ومن جهة أخرى كان دورها التوعوي والإعلامي أقوى من كل التحركات الشيطانية، فعصرها (روحي فداها) بين الباب والحائط كان بدافع واضح من الحقد على الحق والكره الدفين لله عز وجل.

١ - سورة آل عمران ٦١

إن قوة الحق الذي حملته الزهراء عليها السلام في أصل وجودها قد سبب إضطرابًا شديدًا في نفوس السقيفيين، فهو أكبر من أن يواجهوه، ولذلك تراهم وقد قصدوا دارها عليها السلام طلبًا للعفو والسماح، ولكنها زهراء الحق مفطومة عن التعاطي مع الباطل بكل أشكاله، ولذلك توجهت منها ضربة اخرى صعقت بها القوم، وذلك عندما رفضت مقابلتهم.!!

قضت أمنا الزهراء عليها السلام أيامها بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بكاء رسالي إيجابي اقتلع قلوب المرجفين من صدورهم، فهي لم تبكي (روحي فداها) بكاءاً سلبياً لا رسالة فيه، ولكنها بكت معلنة المظلومية الكبرى، ففضحت ببكائها أباطيل القوم حتى أرسلوا لها أمير المؤمنين عليه السلام يطلب منها الاقتصار على البكاء إما ليلاً أو نهاراً، فقالت عليها السلام:

«يا أبا الحسن، ما أقل مكثي بينهم، وما أقرب مغيبي من بين أظهرهم، فوالله لا أسكت ليلاً ولا نهاراً أو ألحق بأبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فقال لها علي عليه السلام: افعلي يا بنت رسول الله ما بدا لك»[1].

واستمر العطاء الفاطمي بقوة متزايدة حتى قبيل استشهادها (روحي فداها)، وذلك عندما طلبت من علي عليه السلام أن يدفنها سرًا بعيدًا عن أعين الناس، وفي ذلك إعلان واضح المعالم جلي المضامين عن مظلوميتها وظالميها.

---

١ - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٣ - ص ١٧٧

فقد قالت لعلي عليه السلام:

«إني أوصيك في نفسي وهي أحب الأنفس إلي بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذا أنا مِتُّ فغسلني بيدك، وحنطني وكفني وادفني ليلا، ولا يشهدني فلان وفلان، واستودعتك الله تعالى حتى ألقاك، جمع الله بيني وبينك في داره وقرب جواره»[1].

إن القضية ليست قضية صلاة وصوم وحج وخمس وزكاة وما نحو ذلك، كما وأنها ليست قضية محافظة على الوجود وحسب، ولكنها قضية حق وباطل، بل هي انتصار للحق ومحاربة للباطل، وهذه قضية ينبغي أن تبقى مستمرة حتى ظهور القائد المخلص إمامنا المهدي المنتظر عليه السلام.

□ الإمام الحسن بن علي عليهما السلام:

من حكمة الله سبحانه وتعالى أنه أمدّ في عمر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حتى اشتد عود ابنه الحسن عليه السلام بين الناس، وإلا فلو أن عليًا تقلد الخلافة بحسب وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكانت أحقاد السقيفة فاعلة في الجمهور لكان من الراجح جدًا ان يُغتال أميرُ المؤمنين عليه السلام، وعندها سوف تبرز السماء اسم الحسن عليه السلام وهو ابن ثمان سنوات على اعتباره الإمام المعصوم المفترض الطاعة من بعد أبيه علي

1 - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٧٨ - ص ٣٩٠ - ٣٩١

عليه السلام، فهل يقبل المسلمون بخليفة حدث (حسب معايير الدنيا) وفيهم الصحابة من المهاجرين والأنصار؟

الجواب المنطقي هو أنهم يرفضون هذا الطرح من أساسه، وبالتالي فمع غياب السد المنيع علي بن أبي طالب عليه السلام، وعدم العناية الفعلية من الأمة بالحسنين عليهما السلام فلا شك في أن الانفلات والانحراف في الدولة سوف يكون مبكرًا، وبالتالي يقوى تجذره وتمكنه لحين أن يكبر الحسن عليه السلام فيكون قادرًا (في النظر القاصر للناس) على قيادة الأمة، هذا إن طرح قائدًا من أصل..!!

إن هذا الترتيب الإلهي ادخر للحق بطلاً من أبطاله وهو الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام الذي عاصر أباه في مختلف مفاصل حياته خصوصًا منذ استشهاد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وما واكب تلك المرحلة من انتكاسات جوهرية في أصل خط المسير الرسالي في الأمة، وقد اعطاه ذلك رسماً معينًا في الأمة أهلها لتستقبله راية حق كما كان جده وأبوه (صلوات الله وسلامه عليهما).

لقد كان الحسن عليه السلام محورًا في المشروع الإلهي الذي دخل مرحلته الجديدة في يوم الغدير الأغر، وكان دوره الرسالي الفاعل في وقت حساس للغاية، فاستشهاد علي عليه السلام والضياع الذي تعرضت له جماهير العراق من جهة، ومن جهة أخرى كانت الآلة الإعلامية في الشام تعمل عملها فتطحن الفكر والثقافة لصالح معاوية بن أبي سفيان

وحزبه الأموي، أما الحجاز فكانت في انتظار لما تنتجه مطابخ الشام والعراق.

كان أمير المؤمنين عليه السلام في مواجهة حذرة جدًا؛ فالطرف الآخر استخدم ميزة الصحبة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالشكل الأمثل، وساعده في ذلك جمهور المسملين بتحكيم العواطف على العقول، أما الحسن عليه السلام فالباطل الذي قام أمامه باطل فضاح يتجاسر دون أدنى حياء، فمعاوية الطليق لم يستحي من أن يقف في قبال علي بن أبي طالب عليه السلام مطالبًا بالملك، فكيف له أن يستحي من شبل علي عليه السلام؟

لا يجد المتتبع صعوبة في فهم المرحلة الحسنية ولو إجمالاً بمجرد التدقيق في بنود المعاهدة التي أبرمت بين معسكر الحق ومعسكر الباطل، فقد كانت:

١. أن يعمل معاوية بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم.

٢. الأمر بعد معاوية إلى الإمام الحسن عليه السلام وبعده للإمام الحسين عليه السلام.

٣. أن لا يسمى معاوية أمير المؤمنين.

٤. أن لا يُسب علي بن أبي طالب عليه السلام.

٥. استثناء بيت مال الكوفة فلا يشمله تسليم الأمر.

٦. الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله[1] ولا يأخذ أهل العراق بالحقد.

الذي نفهمه هو:

١. ملاحقة الحق للدستور الحاكم في دولة الإسلام، فلا يسلم لغير الكتاب والسنة.

٢. المطالبة الدائمة بأن يكون الحكم بيد العالم العارف المحيط بالدستور الإلهي الذي يتجسد في القرآن والسنة.

٣. أن يحارب الحق ظاهرة قلب المفاهيم.

٤. مناصرة الحق للنزاهة دائماً.

٥. المحافظة في أسوء الأحوال على هامش من الاستقلالية، وخصوصًا على المستوى المادي.

٦. تحقيق الأمن الوطني بسلامة الناس، وعدم النظر إليهم على أساس انتماءاتهم المذهبية.

لم يخَض الإمام الحسن عليه السلام الحرب العسكرية المفترضة مع معاوية بن أبي سفيان، ولكنه تمكن من ضربه ثقافيًا بشكل لم يتوقعه معاوية نفسه ولم يتوقعه مستشاروه بالرغم من خبثهم ودهائهم، فالأمام عليه السلام كشف الجبهة الداخلية للحزب الأموي ببنود المعاهدة؛ حيث إنها سحقت المادة الإعلامية التي كان يمارسها القصر الأموي في الشام، وهي الترويج إلى إلهية الأمويين وخارجية الهاشميين والعلويين، وبهذه البنود انكشف زيف هذا الترويج الشيطاني الخبيث ففقدت السلطة الأموية جانبًا من استقرارها الداخلي مما أدى إلى التركيز على تقوية

القبضة الأمنية للتعويض عن الخسارة الثقافية التي تسببت فيها بنود المعاهدة.

وبالرغم من قلة الناصر إلا أنه عليه السلام لا يُعرف في ثقافته العتروية غير الانتصار إلى الحق وفضح الباطل، وهذا هو عليه السلام يقوم «على المنبر - حين اجتمع مع معاوية - فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

أيها الناس، إن معاوية زعم أني رأيته للخلافة أهلاً ولم أر نفسي لها أهلا، وكذب معاوية.

أنا أولى الناس بالناس في كتاب الله وعلى لسان نبي الله، فأقسم بالله، لو أن الناس بايعوني وأطاعوني ونصروني لأعطتهم السماء قطرها والأرض بركتها، ولما طمعت فيها يا معاوية، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (ما ولت أمة أمرها رجلاً قط وفيهم من هو أعلم منه إلا لم يزل أمرهم يذهب سفالاً حتى يرجعوا إلى ملة عبدة العجل).

وقد ترك بنو إسرائيل هارون واعتكفوا على العجل وهم يعلمون أن هارون خليفة موسى، وقد تركت الأمة علياً وقد سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي عليه السلام: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير النبوة فلا نبي بعدي)»[١].

١ - كتاب سليم بن قيس - تحقيق محمد باقر الأنصاري - ص ٤٥٨ - ٤٦٠

لقد فضح الإمام الحسن عليه السلام كذب معاوية بن أبي سفيان، وبين موقع أهل السقيفة عند الله تعالى في بضع كلمات، نعم هي بضع كلمات إلا أنها تزلزل قلوب الظالمين. فتأمل جيداً..

ولم يتوقف دور الإمام الحسن عليه السلام عند هذا الحد، بل أنه انطلق من منعطف العودة إلى المدينة المنورة انطلاقة توعوية قضت مضاجع الأمويين وأزعجت راحتهم، فالقضية لم تعد الحسن بن علي عليهما السلام وفقط، ولكنها تعمقت فأصبحت الحسن بن علي عليهما السلام الرافد الثقافي الذي أخذ بتحويل المجتمع إلى حالات غديرية واعية، وبذلك لم يكن أمام حزب الشيطان إلا التخلص من الرافد الأصل.. فكان الاغتيال الخبيث.

□ **الإمام الحسين بن علي عليهما السلام:**

اتسم عهد الخلافة إلى ما قبل معاوية بن أبي سفيان بحساسية بالغة، فعوامل الصحبة والزمان والمكان كانت حاضرة في سياسة الحق (علي بن أبي طالب "عليه الصلاة والسلام") وخياراته، أما في العهد التالي وعندما أسفر معاوية بن هند عن وجهه ونيته في تحويل الخلافة إلى البيت الأموي مما يعني ظهور الباطل والفساد على الحق والعدل بشكل رسمي حكومي، تحرك الحسين بن علي عليهما السلام في جيش لمواجهة الجشع

الأموي، ولبعض الظروف الموضوعية المهمة عدَلَ (سلام الله عليه) عن الحرب إلى المعاهدة التي بينّا معالمها قبل قليل، وهي التي لم تكن بأقل من إشهار السيف.

نفهم الآن أن مواجهة الحق للباطل تشتد في شكلها وأدائها كلما صرح الباطل عن باطله وأسفر عن فساده حتى أنها تصل إلى حد إشهار السيف وإعلان التضحية بالأغلى والنفس دون أقل تردد، وهذا ما حصل بالضبط في كربلاء عندما رفعها الإمام الحسين عليه السلام راية دم تزمجر بإيمانها ولا تأخذها في الله لومة لائم.

إن لقضية الحسين عليه السلام تفصيلات من نوع آخر، فالباطل قد قرر باكرًا أن الحسين عليه السلام عدوًا لابد من إزالته أو لا أقل من إقصائه بكل ما تحمل الكلمة من معنى، ولذلك زحفت جنود الشيطان إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاصدة توقيع وختم السبط الطاهر على ولاية الملعون في السماوات والأرض يزيد بن معاوية (لعنه الله)، ولكن هيهات أن يعطي الإمام عليه السلام مثل هذا الفاسد المفسد.

أقبل مروان بن الحكم على الإمام الحسين عليه السلام قائلاً:

" يا أبا عبد الله، إني لك ناصح فأطعني ترشد.

فقال الحسين عليه السلام: وما ذاك؟ قل حتى أسمع.

فقال مروان: إني آمرك ببيعة يزيد أمير المؤمنين فإنه خير لك في دينك ودنياك.

فقال الحسين عليه السلام: إنا لله وإنا إليه راجعون، وعلى الإسلام السلام، إذ قد بُليت الأمةُ براعٍ مثل يزيد، ولقد سمعتُ جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: الخلافة محرمةٌ على آل أبي سفيان..

وطال الحديث بينه وبين مروان حتى انصرف مروان وهو غضبان"[1].

إن هذا التصريح المباشر من الإمام الحسين عليه السلام يعني حقيقة بأن الذي يريد إعلان الاتباع للعترة الطاهرة فعليه أن يكون على جهوزية تامة لتحمل ضربات الباطل، فقوله عليه السلام في يزيد وعموم آل أبي سفيان كفيل بأن يعرض كل شيعي لسطوة الباطل، وهذا يحتاج منا إلى تأمل دقيق.

استمرت ملاحقة الحزب الأموي اليزيدي لحزب الحق والخير العلوي في الحسين عليه السلام ومن معه من أنصار صادقين (رضوان الله تعالى عنهم)، والكل يعلم حادثة الانقلاب الخبيث الذي قام به الكوفيون على سفير الحسين عليه السلام إلى أهل العراق مسلم بن عقيل، وكيف أنهم اشتروا الذمم وأرعبوا القلوب وسحقوا الضمائر حتى غاب قرابة الخمسة عشر ألف صوت كانت من المفترض أن تأخذ محل

---

١ – العوالم، الإمام الحسين (ع) – الشيخ عبد الله البحراني – ص ١٧٥

الناصر المدافع عن الإمام الحسين عليه السلام وولايته، فهي التي بعثت إليه الكتب تبشره بأن الثمار قد أينعت، والأشجار قد أورقت، وأنْ أقبِل لولاية الأمر، ولكنها انقلبت بعد أن ظهرت وقاحة السلطة في اللعب على كرامة الإنسان بالإرهاب تارة والإغراء بالمال والملك تارة أخرى.

إن الذي جرى على مسلم بن عقيل في العراق كان مما زاد من دوافع الركب الحسيني في مواصلة المسير نحو كربلاء، فالأمر خطير والسكوت على تجاوزات السلطة الأموية وفسادها جريمة لا تغتفر، وليس الذي مثل الحسين عليه السلام يتردد في أداء واجب الخلافة الإلهية بالوقوف في وجه الظلم والفساد والاستبداد مهما كلف الأمر.

واصل أبو عبد الله عليه السلام عمله في التعبئة الثقافية دون توقف، بل وحتى في أثناء المسير إلى كربلاء كان يبث الروح الرسالية الرصينة في صدور الناس صغاراً وكباراً، وها هو يقول:

"إن هذه الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها، فلم يبق منها إلا صبابة كصبابة الاناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أن الحق لا يعمل به، وأن الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً، فإني لا أرى الموت إلا سعادة ولا الحياة مع الظالمين إلا برما.

إن الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درت معائشهم فإذا محصوا بالبلاء قل الديانون"[1].

١ – تحف العقول – ابن شعبة الحراني – ص ٢٤٥

لقد كان الحسين عليه السلام في موقع تتسم فيه التضحية بإعلامية لا تضاهيها إعلامية أبدًا، فهو الإمام قام أو قعد، وهو ثاني سيدي أهل الجنة، وهو خامس أصحاب الكساء، وسبط المصطفى، وابن علي وفاطمة.. إنه الحسين عليه السلام وما أدراك ما للحسين عليه السلام من مكانة إلهية في قلوب الناس وخصوصًا أولئك الذين سمعوا عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفي الطرف المقابل هناك يزيد السافل الماجن الذي تبرأ منه غير الشيعة من علماء العامة فضلاً عن الشيعة، فهو شارب الخمر في العلن، اللاعب بالقرود والكلاب دون خجل، وهو الأموي المدلل والشاب المتهور الذي لا يرعوي قول كبير ولا صغير..!!

في تصوري أن نهضة الحسين عليه السلام وتقديمه السيف لم يكن لمواجهة يزيد بن معاوية، فأين الحسين بن علي عليهما السلام من هذا القزم النكرة؟؟! ولكن القضية كانت قضية نهضة على هذه المعادلة العوجاء التي ترفضها حتى الجمادات، فما بالك بالإنسان؟

إذ كيف يمكن لإنسانٍ يحترم عقله أن يستسيغ ذوقه الفكري تولي يزيد بن معاوية شؤون الخلافة الإسلامية وهو الذي أظهر من المفاسد والضلالات ما يبعده حتى عن قيادة نعجة، فكيف بأمة الإسلام؟

رأى الحسين عليه السلام وجوب إسقاط هذه المعادلة الباطلة مع ضرورة

إنجاز ما من شأنه جعلها مقدمة قياس لحوادث الزمان ووقائعه، وبهذه الرؤية الواضحة انطلق من مدينة جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى البيت العتيق في مكة المكرمة لتبدأ فصول الحركة الحسينية الخالدة في مواجهة الباطل وفقًا لاستراتيجية تجلت فيها الحكمة وبانت على بيارقها قمم الإيثار والتضحية، فمنذ أن أحل السبط الشهيد عليه السلام من إحرامه في الثامن من ذي الحجة وعيون الفاهمين بدأت في تتبع حركته وتسجيل أقواله، ثم أنه عليه السلام بدأ بتثبيت الفكرة النهضوية وما هو مقبل عليه عن طريق مواجهته لنصائح كبار المسلمين من أمثال عبد الله بن العباس وأخيه محمد بن الحنفية، فجوابه كان واضحًا في أن القادم ليس غير الدم والشهادة، حتى أنه عليه السلام قد انتقل في تبشيره بالعروج إلى سماء الخلد من كربلاء إلى نسائه وأهل بيته عليهم السلام، واستمر هذا التبشير والإخبار على طول محطات المسير من مكة إلى كربلاء، وبذلك قد هيأ الحسين عليه السلام الإعلام العام لحدث تاريخي تهتز له السماوات العلى، وهو حدث الدماء الزاكيات التي تسيل في أرض الطفوف.. فكان ما كان..

□ الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام

لقد أحدثت دماء كربلاء منعطفًا استراتيجيًا فريدًا في مسيرة الحق، فقد استفاق الناس من غفلتهم على حدث ذاك الدم الطاهر الذي أريق في أرض الطفوف، وتلك الرؤوس الشريفة التي رفعت على الرماح وزُفت فرحًا واستبشارًا إلى الخليفة الأموي الماجن يزيد بن معاوية.. توقف العباد وكأنهم في حلم تملؤه أطياف مرعبة.. هل قُتل الحسين بن علي سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن فاطمة التي هي بضعة من أبيها؟ هل قُتل هكذا كما رأى الرائي وسمع السامع؟

إن هذه الوقائع المأساوية أحيت الروح في الأحرار الأشراف وبعثت في أرواحهم رسالية الولاية لآل محمد عليهم السلام، وذلك بعد سنوات من الضياع الذي سببته الخلافة الأموية.

لقد شهد السجاد زين العباد علي بن الحسين عليه السلام هذه الحالة بتفاصيلها الدقيقة، ولا ننسى أن الآلة الأموية في الطرف الآخر ترصد أيضًا التحولات في ولائيات الناس وإيمانياتهم، ومن الطبيعي أنها لا تريد لمثل هذه التحولات أن تستفحل في الأمة لأنها تتحول في وقت ما إلى حق يستقوي على باطلهم، وهذا الهاجس الأموي قرأه الإمام السجاد عليه السلام بدقة متناهية، ولذلك أراد المحافظة على ما حققه دم الحسين عليه السلام من إنجاز عظيم على مستوى وعي الأمة وإدراكها فعمد إلى تنمية الجانب الروحي فيها عن طريق سلسلة من رحلات السياحة

في ميادين العبادة والاتصال بالسماء، فكانت الصحيفة السجادية التي تشتمل على أرقى المفاهيم وأعز الرؤى في العبادة والحقوق بمختلف مستوياتها.

ثم أن من تحركاته عليه السلام التركيز على إرجاع الناس إلى فطرتهم السوية التي يدل عليها اتباع الحق وأهله، ومواجهة الباطل وأهل، فقد قال عليه السلام:

"قد انتحلت طوائف من هذه الأمة بعد مفارقتها أئمة الدين والشجرة النبوية إخلاص الديانة، وأخذوا أنفسهم في مخائل الرهبانية، وتعالوا في العلوم ووصفوا الإيمان بأحسن صفاتهم وتحلوا بأحسن السنة، حتى إذا طال عليهم الأمد وبعدت عليهم الشقة وامتحنوا بمحن الصادقين رجعوا على أعقابهم ناكصين عن سبيل الهدى وعلم النجاة، يتفسخون تحت أعباء الديانة تفسخ حاشية الإبل تحت أوراق البزل، ولا تحرز السبق الروايا وإن جرت، ولا يبلغ الغايات إلا سبوقها، وذهب الآخرون إلى التقصير في أمرنا واحتجوا بمتشابه القرآن فتأولوا بآرائهم واتهموا مأثور الخبر مما استحسنوا يقتحمون في أغمار الشبهات ودياجير الظلمات بغير قبس نور من الكتاب ولا أثرة علم من من مظان العلم بتحذير مثبطين زعموا أنهم على الرشد من غيهم، وإلى من يفزع خلف هذه الأمة وقد درست أعلام الملة ودانت الأمة بالفرقة والاختلاف، يكفر بعضهم بعضا، والله تعالى يقول:﴿وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾.

فمن الموثوق به على إبلاغ الحجة وتأويل الحكمة إلا أهل الكتاب وأبناء أئمة الهدى ومصابيح الدجى الذين احتج الله بهم على عباده، ولم يدع الخلق سدى من غير حجة؟

هل تعرفونهم أو تجدونهم إلا من فروع الشجرة المباركة، وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وبرأهم من الآفات وافترض مودتهم في الكتاب؟

هم العروة الوثقى وهم معدن التقى، وخير جبال العالمين ونيقها»[1].

إن الخطة السجادية المتقنة كانت سببًا في تشكل عدة جبهات اتفقت كلها على ضرب الدولة الأموية التي عاثت في الأرض فسادًا، فحتى لو تعددت الرؤى والمشارب إلا أن النور الذي عادة ما يأتي في عقب الاتصال برب الأرباب سبحانه وتعالى قد عمل عمله وضرب بكل قوة في جذر الدولة المستبدة، وهذا ما لم يحسب الأمويون حسابه إلا من بعد فوات الأوان إذ أن مدرسة الإمام عليه السلام قد قوي بنيانها وعلا شأنها.

في ذلك الوقت التفت الوليد بن عبد الملك وزمرته إلى ضرورة التخلص من الإمام السجاد عليه السلام، فنهضته الإيمانية الروحية آخذة في التوسع ولا شك أنها تهدد الوجود الأموي من أساسه.. فكان أن أجري السم في جسد الإمام عليه السلام ليرحل مظلومًا شهيدًا منتصرًا..

---

١ - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٢٧ - ص ١٩٣ - ١٩٤

□ الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام

إن كان لنا وجود اليوم كطائفة شيعية موالية لأهل بيت العصمة عليهم السلام فليس ذلك إلا بفضل تلك المنعطفات الاستراتيجية الدقيقة جداً التي صنع ظروفها وحققها أئمتنا عليهم السلام، فالمتتبع للحركة الرسالية النضالية للمعصومين عليهم السلام يرى جلياً توجه العمل بكله للغد الذي ينشر فيه المهدي المنتظر عليه السلام راية الحق على رؤوس الخلائق أجمعين، فلم يكن واحد منهم عليهم السلام يدعو إلى نفسه بملك أو سلطة أو ماشابه، بل كانوا جميعهم يدعون إلى راية الحق الفاردة، ولذلك ترى أن عملهم كان يتميز بالمرحلية وعدم الاستعجال.

قضت الأمة المؤمنة ثلاثة عقود في مدرسة التنمية الروحية تحت قيادة الإمام زين العابدين عليه السلام، وهذا جانب أساسي من جوانب شخصيتها الرسالية إلا أنه من الخطير جداً حصرها فيه وإهمال باقي الجوانب المكونة لها، فالشخصية الرسالية تتكامل بالروح الإيمانية والمتانة العلمية والرسوخ المعرفي والحكمة السياسية والإقدام في ساحات المواجهة وما نحو ذلك من فضائل أوضحها الثقلان بما لا مزيد عليه.

جاء الآن دور التأكيد على التمسك بالإيمانيات تمسكاً واعياً يسمو بصحابه فوق هذه الدنيا فيمكنه من مواجهة المخططات الشيطانية بقوة وثبات، وهذا ما يكفله العلم وتؤكده المعرفة وتصون إنجازاته الحكمة، ولذلك شرع إمامنا الباقر عليه السلام بالتأسيس لأول حوزة علمية في

تاريخ التشيع، بل وأول جامعة إسلامية في التاريخ أخذت على عاتقها احتضان القوة الإيمانية في المؤمنين برفعة العلم وعمق المعرفة، وبهذا بدأت شخصية الشيعة مراحل التكامل الذي يؤهلها لمواجهات عنيفة جداً مع قوى الباطل والفساد، خصوصاً وأن الإمام عليه السلام قد ترجم عملياً ذلك التكامل الرسالي، ولك في الحادثة التالية خير مثال:

كان الصادقان عليهما السلام في الشام إذ سمعا قول أهلها في الإشارة إلى الباقر عليه السلام: هذا ابن أبي تراب.. هذا ابن أبي تراب، فالتفت عليه السلام إليهم وقام خطيباً:

" اجتنبوا أهل الشقاق، وذرية النفاق، وحشو النار وحصب جهنم عن البدر الزاهر، والبحر الزاخر، والشهاب الثاقب، وشهاب المؤمنين، والصراط المستقيم، من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها، أو يلعنوا كما لعن أصحاب السبت، وكان أمر الله مفعولاً.

ثم قال بعد كلام: أبصنو رسول الله تستهزؤون أم بيعسوب الدين تلمزون، وأي سبل بعده تسلكون، وأي حزن بعده تدفعون، هيهات هيهات، برز والله بالسبق وفاز بالخصل واستوى على الغاية والحرز على الخطاب فانحسرت عنه الابصار، وخضعت دونه الرقاب، وقرع الذروة العليا، فكذب من رام من نفسه السعي وأعياه الطلب فأنى لهم التناوش من مكان بعيد.."[١].

١ - مناقب آل أبي طالب - ابن شهر آشوب - ج ٣ - ص ٣٣٤

إن هذا التأسيس من الإمام الباقر عليه السلام أزعج دولة الظلم أيما أزعاج، فمسألة أن تتفتح عيون العباد على فلسفة الدين مسألة يلازمها حراك مجتمعي همه إحقاق الحق وسحق الباطل، وهذا ما تنبه له الجهاز الأموي فاستخدم ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك في دس السم إلى الإمام عليه السلام للتخلص من راية حق كانت تؤرقهم وتقض مضاجعهم.

□ الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

لقد ساهمت قوة الوعي التي بثها المعصومون عليهم السلام في إحاطة الدولة الأموية بتيارات من الناهضين المريدين زوالها، وفي هذه الفترة بالذات كان تحرك العباسيين نحو منازعة الأمويين كرسي الحكم في حين أن مرحلة الإعداد العلمي والمعرفي لم تنتهي بعد، فدور الإمام الباقر عليه السلام استمر مدة إمامته وهي ١٩ سنة، وهذا في المنهج العلمي لا يخلق تغييراً حقيقياً في التركيبة الفكرية للمجتمع، ولذلك جاء الإمام الصادق عليه السلام ليكمل برنامج أبيه عليه السلام مستثمراً انشغال الأمويين بالهروب من سطوة العباسيين، وانشغال العباسيين بمطاردة الأمويين.

انتقل الإمام الصادق عليه السلام في البرنامج العلمي مع المجتمع من مرحلة التأسيس إلى مرحلة العمق والتفصيل، وهذا الانتقال مهم جداً في عملية البناء ولا ينبغي إغفاله أبداً، فالعلم درجات وليس من

الصحيح التوقف عند إحداها؛ فالزمن لا يتوقف أبداً، ومن يتوقف عند درجة علمية معينة يتجاوزه الزمن ولا تكترث به الأيام.

تحمل الإمام الباقر عليه السلام أعباء العمل الرسالي حتى وصل الدور إلى ابنه الصادق عليه السلام ليبرز في مدرسته من يشارك في حمل المسؤولية بقوة لا مثيل لها وبثبات قل نظيره، ففي القرآن وعلومه حمران بن أعين، وفي العربية أبان بن تغلب، وفي الفقه زرارة، ومؤمن الطاق في الكلام، وفي الفلسفة الهشامين بن سالم وبن الحكم، وغيرهم قامت على رؤاهم نظريات ومفاهيم، وبذلك بدأ خط الإسلام الأصيل تشيد أركانه التي تبقيه شامخاً إلى اليوم وإن عصفت به العواصف، ويكفي في المقام الرجوع إلى ذلك الكم الهائل من التراث العتروي الذي وصلنا عن صادق أهل البيت جعفر من بن محمد عليهما السلام.

إن لهذه الدولة الجعفرية رونق خاص تتقزم أمامه اعتى القوى وإن كانت قوة الدولة العباسية في بداية أمرها، فهي دولة تميزت بصناعة حضارة فريدة من نوعها وهي حضارة العلم القائم على مرجعية دينية لا يأتيها الباطل أبداً، وهذا ما استشعره المنصور العباسي ولم يجد أمامه من خيار غير القضاء على رأسها.. فكان ماكان.

□ الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام

كان من المسلم عند العباسيين أن السبب الرئيس وراء ضعف الدولة الأموية وانكسارها هو البعث الفكري الذي مارسه المعصومون من آل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فكان على رأس مخططاتهم القضاء على هذا المد الرسالي الجارف بضرب الرؤوس واحد تلو الآخر دون إمهال، ولكن الإمام الصادق عليه السلام وعى هذا الأمر جيداً فكان منه أن أوصى بالإمامة من بعده إلى خمسة، هم: ابنه عبد الله الأفطح، وابنه الإمام موسى الكاظم عليه السلام، والوالي العباسي على المدينة محمد بن سليمان، وزوجته حميدة، ونفس الخليفة المنصور الدوانيقي، وبذلك فوت عليه السلام الفرصة على الدوانيقي الذي كان قد أمر واليه على المدينة بأن يضرب عنق الوصي من بعد جعفر بن محمد (صلوات الله وسلامه عليهما)، ولكن هذا المخطط بطل بالوصية إلى خمسة.!!

في هذه المرحلة الجديدة من عمر التشيع بدأ التحول إلى العمل السري والتحرك تحت غطاء التقية الذي عمل دوراً بارزاً في حفظ الحق وإبعاده عن محاولات الاغتيال التي تفنن فيها العباسيون بعد إعلانهم العداء السافر لأي تحرك رسالي، ولكن الباطل لا يستسلم بسهولة، فقد ابتدع فكرة إبليسية خبيثة وطبقها بما هو أخبث منها، وهي فكرة فتح الباب أمام الفكر الإلحادي لبث سمومه بين الناس، والحق أنه لولا الزرع الفكري الرائد للإمامين الباقر والصادق عليهما السلام لضاعت معالم

الدين ودرست آياته مع هذه الموجة الخطيرة التي اجتاحت النوادي العلمية آنذاك.

لقد تأزمت أوضاع الأمة بشكل ملحوظ خصوصاً بعد أن بدأت الدولة العباسية انتهاج خطة القبضة الحديدية فأكثرت من الاعتقالات والتضييق وتكميم الأفواه مما أثر بشكل مباشر في تمسك عامة الناس بالمبادئ والقيم والفكر، فتخلى من تخلى وتبدل من تبدل خوفاً من بطش السلطة مما جعل الإمام الكاظم عليه السلام يحكم خطة المواجهة بشكل استعصى حله على قوة الجهاز العباسي، وأول ما قام به من خطوات، العمل على توسعة نشاط المدرسة العلمية على اعتبارها المرتكز والرافد الأبرز للفكر الرسالي الرصين، أما ثانياً فقد انشغل الإمام عليه السلام بتنمية الوعي السياسي وترسيخ مبدأ الرفض لأي لون من ألوان الاضطهاد السياسي، وقد يكون لنا في حواره عليه السلام مع صفوان الجمال كفاية في فهم طبيعة المرحلة الرسالية آنذاك..

عن صفوان بن مهران الجمال قال: دخلت على أبي الحسن الأول عليه السلام فقال لي: يا صفوان، كل شئ منك حسنٌ جميلٌ ما خلا شيئاً واحداً.

قلت: جعلت فداك، أيُّ شئ؟

قال: إكراؤك جمالك من هذا الرجل. (يعنى هارون).

قال: والله ما أكريته أشراً ولا بطراً ولا للصيد ولا للهو، ولكني

أكريته لهذا الطريق يعني طريق مكة، ولا أتولاه بنفسي، ولكن أبعث معه غلماني.

فقال لي: يا صفوان، أيقع كراؤك عليهم؟

قلت: نعم، جعلت فداك.

قال: فقال لي: أتحب بقاءهم حتى يخرج كراؤك؟

قلت: نعم.

قال: من أحب بقاءهم فهو منهم، ومن كان منهم كان ورد النار.

قال صفوان: فذهبت فبعت جمالي عن آخرها فبلغ ذلك إلى هارون فدعاني فقال لي: يا صفوان، بلغني أنك بعت جمالك.

قلت: نعم.

قال: ولم؟

قلت: أنا شيخ كبير وإنَّ الغلمان لا يفون بالأعمال؟

فقال: هيهات هيهات، إني لأعلم من أشار عليك بهذا، أشار عليك بهذا موسى بن جعفر.

قلت: ما لي ولموسى بن جعفر؟

فقال: دع هذا عنك، فوالله لولا حسن صحبتك لقتلتك.[1]

---

١ - وسائل الشيعة (الإسلامية) - الحر العاملي - ج ١٢ - ص ١٣١ - ١٣٢

وقد قال مرة لزياد بن أبي سلمة: "يا زياد، لئن أسقط من شاهق فأتقطع قطعة قطعة أحبّ إلي من أن أتول لهم عملاً أو أطأ بساط رجل منهم، إلا لماذا؟

فقال زياد: لا ادري، جعلت فداك.

فقال: إلا لتفريج كربة عن مؤمن، أو فك أسره، أو قضاء دينه.

يا زياد، إن أهون ما يصنع الله جل وعز بمن تولى لهم عملاً أن يضرب عليه سرادق من نار إلى أن يفرغ من حساب الخلائق.

يا زياد، فإن وليت شيئا من أعمالهم فأحسن إلى إخوانك فواحدة بواحدة، والله من وراء ذلك.

يا زياد، أيما رجل منكم تولى لأحد منهم عملاً ثم ساوى بينكم وبينهم فقولوا له: أنت منتحل كذاب"[1].

لقد سبب الإمام الكاظم عليه السلام للعباسيين قلقاً شديداً جعلهم يرجعون إليه كل ثورة تقوم ضدهم في البلاد ويتهمونه عليه السلام بأنه المدبر لها، بل وحتى في غير ذلك إلى درجة أن مجرد ذكر اسم موسى بن جعفر عليهما السلام كان يسبب لهم حالة من الهلع والخوف وكأن سيف القضاء قد نزل عليهم، والغريب في الأمر أن النشاط التوعوي المركز والمكثف الذي مارسه الإمام الكاظم عليه السلام قد قلب الطاولة على سلطة الجور والباطل، فبدل النكوص الذي بدأ في الانتشار، حل التمسك والثبات،

١ – وسائل الشيعة (آل البيت) – الحر العاملي – ج ١٧ – ص ١٩٤

وما كانت الاعتقالات والتنكيلات بالرساليين الصادقين إلا مقوية لهم مثبتة لأقدامهم على طريق الحق والنصرة.

أغرق الخوف سلطة بني العباس فلجأ العباسي هارون إلى حملة قمعية استهدفت الإمام الكاظم عليه السلام في سابقة اعتقال خطيرة جداً الغاية منها قطع قنوات الاتصال بين القائد المعصوم عليه السلام وشيعته، ولكن هيهات هيهات وقد قرأ الإمام عليه السلام المعادلة بعين ثاقبة لا تناظر..!!

قبل اعتقال الإمام عليه السلام جاءه علي بن يقطين[1] طالباً منه الإذن في ترك العمل مع العباسيين بعد أن ضاق صدره بفسادهم وظلمهم وجورهم، ولكن الإمام عليه السلام نهاه قائلاً: "لا تفعل فإن لنا بك انساً، ولإخوانك بك عزاً، وعسى أن يجبر الله بك كسراً، ويكسر بك نائرة المخالفين عن أوليائه.

يا علي، كفارة أعمالكم الإحسان إلى إخوانكم، اضمن لي واحدة وأضمن لك ثلاثاً، اضمن لي أن لا تلقى أحداً من أوليائنا إلا قضيت حاجته وأكرمته، وأضمن لك أن لا يظلك سقف سجن أبداً ولا ينالك حد سيف أبداً ، ولا يدخل الفقر بيتك أبداً، يا علي، من سر مؤمناً فبالله بدأ وبالنبي صلى الله عليه وآله ثنى وبنا ثلث"[2].

١ - هو من خلص الشيعة الذي تسللوا بأمر من القائد المعصوم إلى جهاز الدولة الفاسدة حتى أصبح الوزير الأول لهارون

٢ - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٤٨ - ص ١٣٦

فمن جهة تمكنت مجموعة مختارة من الموالين أن تقتحم القصر العباسي بل وأن تكون من المقربين لكرسي الحكم دون أن تظهر منهم خيانة لثوابتهم أو تقاعصاً عن قضاء حوائج المؤمنين، ويكفي لفهم الأصل في مثل هذه المسائل تعبيره عليه السلام عن قضاء حوائج المؤمنين وما شاكل بالنسبة للعامل في قصور الجور بالكفارة. فتأمل جيداً..

ومن جهة ثانية فقد حقق الإمام عليه السلام انجازات كبيرة جداً مع سجانيه بعد أن تسلل بنوره الإلهي إلى قلوبهم فأثر في وعيهم أيما تأثير حتى حولهم من حالة العداء إلى قنوات وصل بينه وبين رموز التشيع في الخارج، وبذلك حاصر عليه السلام السلطة العباسية من الداخل ومن الخارج.. فصلوات الله وسلامه عليك سيدي يا باب الحوائج يا موسى بن جعفر الكاظم..

بعد فشل خطوة الاعتقال لم يجد هارون العباسي أمامه غير اغتيال الإمام عليه السلام في قرار يدل بوضوح على تقدم الحالة الهستيرية في القصر العباسي.. وكان الاغتيال بالسم.

□ الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

جاء الإمام الرضا عليه السلام وحالة الوعي الشيعية في أوجها إلى درجة أن الشارع السياسي آنذاك كان رهن إشارة الإمام عليه السلام، وليس أدل من ذلك استعانة المأمون بن هارون به عليه السلام في تهدئة المظاهرات والمسيرات التي كانت تنطلق اعتراضاً على ممارسة جهاز السلطة، وقد كان التمهيد لعودة الحق قد أخذ مراحله الجادة بعد التحركات السياسية المتقدمة والتي قادها الإمام الكاظم عليه السلام من خارج المعتقل ومن داخله.

أدرك المأمون أن حملات القمع التي مارسها أبوه لم تنجح في إخماد الحالة الإيمانية الرسالية في الناس، فقد كان نوع اطراد عجيب حيث زيادة القمع تورث تمسكاً أكثر وثباتاً على الحق أقوى، ولذلك قرر هذا الابن اتخاذ الليونة مسلكاً خصوصاً وأن القيادة الفعلية للأمة أصبحت بيد الإمام الرضا عليه السلام حتى أن الأموال باتت تجبى إليه من كل صوب، وبذلك تعالت القوى الاقتصادية بجانب قوة النفوذ وسلطة الكلمة.

عن أبي الصلت الهروي، قال: إن المأمون قال للرضا عليه السلام: يا بن رسول الله، قد عرفتُ فضلك وعلمك وزهدك وورعك وعبادتك، وأراك أحق بالخلافة مني.

فقال الرضا عليه السلام: بالعبودية لله عز وجل أفتخر، وبالزهد في الدنيا أرجو النجاة من شر الدنيا، وبالورع عن المحارم أرجو الفوز بالمغانم،

وبالتواضع في الدنيا أرجو الرفعة عند الله عز وجل.

فقال له المأمون: إني قد رأيت أن أعزل نفسي عن الخلافة وأجعلها لك وأبايعك.

فقال له الرضا عليه السلام: إن كانت الخلافة لك وجعلها الله لك، فلا يجوز أن تخلع لباسا ألبسك الله وتجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك، فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك.

فقال له المأمون: يا بن رسول الله، لا بد لك من قبول هذا الامر.

فقال: لست أفعل ذلك طائعا أبداً.

(فما زال يجهد به أياما حتى يئس من قبوله)، فقال له: فإن لم تقبل الخلافة ولم تحب مبايعتي لك، فكن ولي عهدي لتكون لك الخلافة بعدي.

فقال الرضا عليه السلام: والله لقد حدثني أبي، عن آبائه، عن أمير المؤمنين، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إني أخرج من الدنيا قبلك مقتولاً بالسم مظلوماً، تبكي علي ملائكة السماء وملائكة الأرض، وأدفن في أرض غربة إلى جنب هارون الرشيد.

(فبكى المأمون)، ثم قال له: يا بن رسول الله، ومن الذي يقتلك، أو يقدر على الإساءة إليك وأنا حي؟

فقال الرضا عليه السلام: أما أني لو أشاء أن أقول من الذي يقتلني لقلت.

فقال المأمون: يا بن رسول الله، إنما تريد بقولك هذا التخفيف عن نفسك، ودفع هذا الامر عنك، ليقول الناس: إنك زاهد في الدنيا.

فقال الرضا عليه السلام: والله ما كذبت منذ خلقني ربي عز وجل، وما زهدت في الدنيا للدنيا، وإني لأعلم ما تريد.

فقال المأمون: وما أريد؟

قال: لي الأمان على الصدق؟

قال: لك الأمان.

قال: تريد بذلك أن يقول الناس: إن علي بن موسى لم يزهد في الدنيا، بل زهدت الدنيا فيه، ألا ترون كيف قبل ولاية العهد طمعاً في الخلافة؟.

(فغضب المأمون)، ثم قال: إنك تتلقاني أبداً بما أكرهه، وقد أمنت سطواتي، فبالله أقسم لإن قبلت ولاية العهد وإلا أجبرتك على ذلك، فإن فعلت وإلا ضربت عنقك"[١].

لقد أغلق الرضا عليه السلام ببلاغة حجته وقوة تمسكه بالحق كل منافذ الشيطان المأمونية العباسية حتى فقد بن هارون حلمه وأخذ بتهديد ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

تنازل العباسيون عن كثير من مبادئ الجور والطغيان طلباً رضا

---

١ - الأمالي - الشيخ الصدوق - ص ١٢٥ - ١٢٦

الرضا عليه السلام، إلا أن في المعادلة دقة ينبغي لنا الالتفات إليها جيداً..

عندما يقول الله تعالى بأن الصدق حسن والكذب قبيح فهو، ولا يجوز إن يأتي ثانية ويقول بأن الصدق قبيح والكذب حسن، وهذا معلوم جداً في القيم، وكذلك الأمر بالنسبة للمعصوم نبياً كان أو إماماً ولياً، وبالمثل في من يسير على طريق الاستقامة الولائية، وعليه فإن القيم التي ثبتها المعصومون عليهم السلام في نفوس الشيعة لا يمكن أن يصدر من الإمام عليه السلام ما يخالفها، فعندما تتجذر مبدئية الانتصار للحق ومحاربة الباطل كعنوان أصيل بل أول في فلسفة الدين والتدين كان الجريان عليها ديدن لا تصنع فيه، وبالتالي فإن الليونة مع الإمام عليه السلام لا يمكن أن يكون لها أدنى أثر في وعي الشيعة بما هم عليه، وهذا الذي لم يفهمه المأمون ولم يدرك طبيعته العباسيون.

خسرت السلطة الكثير من نفوذها وقوتها بين الناس عندما لجأت إلى تقريب الإمام الرضا عليه السلام إلى منصب ولي العهد وتقديم الضمانات على تحول السلطة إليه بعد المأمون، وسبب الخسارة هو أن ليس مثل الرضا بن موسى عليهما السلام من يشترى أو يكبل بالرسميات والبرتوكلات الحكومية، بل العكس من ذلك أنه واصل فضحه لضعف الكيان العباسي وهوانه، مما رفع وتيرة الهستيريا العصبية عند المأمون فكان منه ماكان.. ورحل الإمام عليه السلام مظوماً شهيداً.

◻ الإمام محمد بن علي الجواد عليه السلام

قلنا سابقاً ونؤكد هنا على أن الباطل ليس بالعدو الهين، ففي تاريخه الأسود أن أول أفعاله الوقحة مواجهته وتحديه الله سبحانه وتعالى ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[1]، ثم إن من أبرز صفاته عدم الاستسلام بسهولة ﴿لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2]، ولذلك فإن الانتصارات المتوالية التي سجلها الشيعة (أيدهم الله) تحت قيادة المعصومين الأطهار عليهم السلام قصدت تضييق الخناق على الباطل واتباعه لإيصاله إلى مرحلة الإضعاف، وهذا يحتاج إلى جهد كبير وعلى أصعدة مختلفة.

إن مما أفهمه من مرحلة الجواد محمد بن علي عليه السلام أنها كانت منعطفاً لصقل الشخصية الشيعية بعد أن برزت قوتها في الفترات السابقة، وربما أصبت في إعطاء هذه المرحلة أو هذا المنعطف عنواناً هو الآية الكريمة ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ وَاللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾[3]، وبيان ذلك أن استشهاد الإمام الرضا عليه السلام كان ولابنه الجواد عليه السلام ثمان سنين، أي أنه في نظر عامة الناس لا يزال طفلاً وليس من المقبول بموازين ناس الدنيا أن يتقلد منصب الإمامة كما كان أبوه وأجداده عليهم السلام، وهذه مساحة تشكيك اجتهد الباطل بكل قوة في استغلالها لصالح إبطال نظرية الإمامة التي يقوم عليه مذهب التشيع بقيادة الأئمة المعصومين عليهم السلام..!

---

١ – سورة البقرة ٣٤

٢ – سورة الحجر ٣٩

٣ – سورة النفال ٣٠

لقد كان المخطط الإلهي في مرحلة جواد الأئمة عليه السلام يهدف إلى الإطاحة التامة والقاضية بكل فكرة تشكك في أصل الإمامة والولاية لأصحاب العصمة عليهم السلام، وبالتالي تحويل الولاء الشيعي إلى مرحلة متقدمة جداً من التسليم الذي لا يمكن لأي فكرة أو شبهة أن تؤثر فيه حتى لو كانت مستندة إلى ما يراه الدنيويون علمياً بمقاييس الأرض.

«كان سن أبي جعفر عليه السلام نحو سبع سنين، فاختلفت الكلمة بين الناس ببغداد وفي الأمصار، واجتمع الريان بن الصلت، وصفوان بن يحيى، ومحمد بن حكيم، وعبد الرحمن بن الحجاج، ويونس بن عبد الرحمن، وجماعة من وجوه الشيعة وثقاتهم في دار عبد الرحمن بن الحجاج في بركة زلول يبكون ويتوجعون من المصيبة، فقال لهم يونس بن عبد الرحمن دعوا البكاء. من لهذا الأمر وإلى من نقصد بالمسائل إلى أن يكبر هذا؟ (يعني أبا جعفر عليه السلام

فقام إليه الريان بن الصلت، ووضع يده في حلقه ولم يزل يلطمه ويقول: أنت تُظهِرُ الإيمانَ لنا وتُبطِنُ الشك والشرك.

إن كان أمره من الله فلو أنه كان ابن يوم واحدٍ لكان بمنزلة الشيخ العالم وفوقه، وإن لم يكن من عندِ الله فلو عَمَّرَ الف سنة فهو واحد من الناس، هذا مما ينبغي أن يفكر فيه فأقبلت العصابة عليه تعذله وتوبخه.

وكان وقت الموسم فاجتمع من فقهاء بغداد والأمصار وعلمائهم

ثمانون رجلاً فخرجوا إلى الحج وقصدوا المدينة ليشاهدوا أبا جعفر عليه السلام، فلما وافوه أتوا دار جعفر الصادق عليه السلام لأنها كانت فارغة ودخلوها وجلسوا على بساط كبير وخرج إليهم عبد الرحمن بن موسى[1] فجلس وقام منادٍ وقال: هذا ابن رسول الله، فمن أراد السؤال فليسأله.

فسُئل عن أشياء أجاب عنها بغير الواجب، فورد على الشيعة ما حيرهم وغمهم واضطربت الفقهاء وقاموا وهموا بالانصراف وقالوا في أنفسهم: لو كان أبو جعفر عليه السلام يكمل جواب المسائل لما كان من عبد الله ما كان ومن الجواب بغير الواجب، ففتح عليهم باب من صدر المجلس ودخل موفق٢ وقال: هذا أبو جعفر.

فقاموا إليه بأجمعهم واستقبلوه وسلموا عليه فدخل عليه السلام وعليه قميصان وعمامة بذؤابتين، وفي رجليه نعلان، وأمسك الناس كلهم، فقام صاحب المسألة فسأله عن مسائله فأجاب عنها بالحق، ففرحوا ودعوا له واثنوا عليه وقالوا له: إن عمك عبد الله أفتى بكيت وكيت.

فقال: لا إله إلا الله يا عم، إنه عظيم عند الله أن تقف غداً بين يديه فيقول لك لم تفتى عبادي بما لم تعلم وفي الأمة من هو أعلم منك؟»[3]

---

١ - يقصد أحد أبناء الإمام موسى الكاظم عليه السلام إلا أنني لم أجد من أولاده من اسمه عبد الرحمن، فربما كان خطأ في النقل أو ما شابه.

٢ - الظاهر أنه موفق بن هارون من خدام الإمام الرضا عليه السلام بل ومن خواصه وأصحاب أسراره. (معجم رجال الحديث للسيد الخوئي "قدس سره"-١٢٩٠٦ - موفق خادم الرضا)

٣ - عيون المعجزات - حسين بن عبد الوهاب - ص ١٠٨ - ١٠٩

لقد سمت روح الخلص من الموالين الشيعة بلقاء إمامهم وقائدهم محمد الجواد عليه السلام، فقد بات الأمر محصلاً بالعلم الحسي المباشر؛ حيث إنهم يرون أعلام المعرفة وهم يتصاغرون أمام علم بن الثامنة!! وبذلك بدأت مرحلة جديدة من مراحل العمل الرسالي الدؤوب، وهي مرحلة صقل الشخصية الشيعية بما يؤهلها لمواجهة مستجد التحديات.

إن تسلم الإمام الجواد عليه السلام مقاليد الإمامة وهو في الثامنة من عمره الشريف، وشهادة الشيعة (أعزهم الله) رفعة هذا الإمام وأنه بالفعل خير أهل الأرض إيماناً وعلماً ومعرفةً وحكمةً، أعطاهم زخماً رسالياً شكلوا بقوته واقعاً جديداً أجبروا فيه السلطة الباغية على مواصلة التودد لأهل البيت عليهم السلام والشيعة (أيدهم الله) عموماً.

على مدى ١٦ أو ١٧ سنة ملأ الإمام الجواد عليه السلام الساحة الإسلامية علماً ومعرفة بشكل لا مثيل له، وقد أعان على ذلك إعجاب الناس بشخصه الفريد على الرغم من صغر سنه، وقد أثمر هذا الالتفاف حول الإمام عليه السلام وخصوصاً في مسائل الحلال والحرام أن بدأ الجمهور في مسائلة السلطة وحاسبة رموزها، ووصلت هذه الأخبار إلى أبعد الأمصار فكانت الوفود ترد على الإمام عليه السلام من كل مكان طلباً للعلم والمعارف.

في هذه الفترة من تاريخ الدولة الإسلامية كان قد تسلم كرسي الحكم العباسي المعتصم وهو ابن هارون، وكان ميله إلى اخواله الأتراك

الذين جلب منهم الآلاف ألبسهم أغلى الثياب وأرقاها وجمعهم من حوله للتباهي والتفاخر من جهة ولجعلهم واجهة عسكرية تحفظ للدولة كيانها بعد ان شاعت الرذيلة والميوعة بسبب جري أبناء القصور خلف ملاهيهم ونزواتهم.

لقد نفذ الأتراك في مفاصل الحكم وتسلطوا على معاقده وحولوا الدولة المدنية إلى دولة ذات طبيعة عسكرية، فكانت هذه الفترة انتكاسة حقيقية في سلوكيات الناس مما دفع الإمام الجواد عليه السلام إلى مضاعفة الحملات التوعوية وتركيزها بما يخدم التأكيد على فلسفة الدين وهي التمسك بالحق والانتصار له، ومحاربة الباطل دون هوادة، وقد انتجت هذه الحملات نهضة قيمية مثالية قادها العالم الفقيه جليل القدر والشأن محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن الإمام السجاد عليه السلام.

بذلك بانت للمعتصم العباسي خطورة الإمام الجواد عليه السلام والقلق الذي يسببه لكرسي الجور والباطل، فنحى إلى ما نحى إليه أسلافه، وكان ما كان، وقضى إمامنا الجواد عليه السلام مظلوماً شهيداً.

□ الإمام علي من محمد الهادي عليهم السلام

إن لدخول الأتراك على الخط في جانب السلطة أثر مباشر على طبيعة العمل السياسي ، فهم مرتزقة جيئ بهم كطرف تغليب وعامل منعة بعد أن كانت الدولة العباسية قاب قوسين أو أدنى من انهيار مؤكد.

في هذا العهد العباسي المشؤوم أخذت الصورة القمعية بالرجوع بأكثر مما كانت عليه من وحشية في الأزمان السابقة، فإنه ولأول مرة تأمر السلطة بهدم قبر الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء وما حوله من من البيوت تنكيلاً بالشيعة وإظهاراً لقوة السلطة وبطشها، فالبرنامج العسكري التركي المتلبس بالثوب العباسي يريد اليوم سحق الحق وصوته بأي شكل من الأشكال حتى وصل الأمر بأن أصدرت السلطة تعليماتها بقتل كل من يقدم على زيارة قبر الإمام الحسين عليه السلام.

يبدو من تفاصيل هذه المرحلة تأثر فكر السلطة بالطريقة التركية، وإلا فقضية التجرأ على قبر الإمام الحسين عليه السلام وتجاوز الاعتقالات إلى هدم الدور والبيوت والسلب والنهب لم يكن في الإطار القمعي للعباسيين.

في ظل هذه الظروف الجديدة توجه الفكر الرسالي الراشد بقيادة الإمام الهادي عليه السلام نحو التأسيس لكل ما يكفل الاكتفاء الذاتي للشيعة (أيدهم الله) وبالتالي استغنائهم ما استطاعوا عن السلطة وعطاياها،

والأداة التنفيذية لهذه المرحلة كانت جاهزة، إذ أن البناء المعصومي كان قد شق الآفاق وملأ الخافقين فكانت أموال الحقوق الشرعية من اخماس وزكوات وغيرها ترد على الإمام عليه السلام من كل صوب، وكان عليه السلام يوجهها للتأسيس والبناء ورفع حوائج الشيعة ، ومن الواضح أن القوة الاقتصادية تعني القدرة على التحول من موقع تنظيم الصفوف إلى موقع المواجهة الجادة مع الباطل، وهذا ما تنبه إليه جهاز السلطة.

عن محمد بن داود القمي ومحمد الطلحي قالا: "حملنا مالاً من خمس ونذر وهدايا وجواهر اجتمعت في قُمّ وبلادها، وخرجنا نريد بها سيدنا أبا الحسن الهادي عليه السلام فجاءنا رسولُه في الطريق أن ارجعوا فليس هذا وقت الوصول، فرجعنا إلى قم وأحرزنا ما كان عندنا، فجاءنا أمره بعد أيام أن قد أنفذنا إليكم إبلاً عِيراً فاحملوا عليها ما عندكم، وخلوا سبيلها.

قال: فحملناها وأودعناها الله فلما كان من قابل، قدمنا عليه فقال: انظروا إلى ما حملتم إلينا فنظرنا فإذا المنايح كما هي"[1].

من هذه الرواية وامثالها يتضح ذلك الإمتداد الذي حققه خط أهل البيت عليهم السلام في البلاد والأمصار حتى فقدت دولة الباطل رونقاً كانت تمني النفس به.

١ - بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٥٠ - ص ١٨٥

وفوق ذلك كان الإمام الهادي عليه السلام يمثل شرعية عليا للحركات التي تقوم بقصد إسقاط النظام العباسي الظالم، وذلك بإمضائه تارة، وبتوجيهه تارة أخرى.

وبعبارة مختصرة جداً: لقد كان التشيع شوكة قاسية في حلق الباطل أينما حل وبأي شكل كان.

في العهد الميمون لإمامنا الهادي عليه السلام كان المعول على النضج والوعي الذي وصل إليه الشيعة بعد مراحل منهجية متعددة بدأت منذ استشهاد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولذلك فإن الضربات التي مارستها دول الباطل سرعان ما كانت توجه إلى القيادة العليا، وهذا أكبر دليل على ضعف الباطل وتهالكه أمام صمود الحق وثباته.

نعم، ولأن الإمام الهادي عليه السلام واصل موجة الإقلاق الشديدة للسلطة بالرغم من أنه كان تحت الرقابة الشديدة إلى درجة أن بعض المؤرخين قالوا بأنه عليه السلام كان مرتهناً عند العباسيين، ولكن يبدو أن جبن المجرمين كان أقوى بكثير من قبضتهم، ولذلك جرت في المعتز العباسي هستيريا التخلص من الأجساد كما أسلافه، ولم يتعلم بأن الجسد ولو فنى فإن الفكرة تبقى لتغذي الأجيال على مر الدهور.. وهكذا كان، ورحل إمامنا الهادي عليه السلام مظلوماً شهيداً.

□ الإمام الحسن بن علي العسكري عليه السلام

قد لا نبالغ لو قلنا بأن الساحة الإسلامية آنذاك خلت تقريباً من أي فكر يعي فلسفة الدين ويتحرك باتجاه إحقاق الحق وكسر شوكة الباطل من غير أن تأخذه في الله عز وجل لومة لائم، إلا تيار الفكر الرسالي بقيادة المعصوم عليه السلام مما اعطى دلالة واضحة للعباسيين بأن الإمامة الشيعية وما تحمل من مفاهيم وقيم هي السبب الرئيسي وراء تدهور دولتهم وضعفها إلى درجة أنها باتت مهددة بالإنهيار في أي لحظة، فدفعهم ما توصلوا إليه إلى تكثيف الحملة القمعية ضد هذا التيار الجارف للشيعة قيادة وجماهير.

لكن الذي يميز الحال هذه المرحلة هو المنعطف الدقيق والحساس جداً الذي ينتظر الشيعة بعد الإمام العسكري عليه السلام، وهو منعطف غياب القيادة عن الناس وفقدانهم الاتصال المباشر بها وبالتالي الدخول في مرحلة الغيبة وفيها الامتحان الحقيقي للشيعة (أيدهم الله)، وهذا ما فرض منهجاً سياسياً جديداً ينبغي للموالين استيعابه جيداً لخوض غمار التحدي الأكبر، ولاستيفاء هذا المقصد المهم بدأ الإمام عليه السلام بالترسيخ لمفهوم القيادة عبر إيكال مهمات الأمور لقيادة ميدانية من ثقاة العلماء وأكفائهم، ورفد المجتمع بكم كبير من الأحاديث التي ترسم وتوضح معالم القيادة الإسلامية الرشيدة.

حدث "محمد بن إسماعيل وعلي بن عبد الله الحسنيان قالا: دخلنا على أبي محمد الحسن عليه السلام بسر من رأى، وبين يديه جماعة من أوليائه وشيعته، حتى دخل عليه بدر خادمه فقال: يا مولاي بالباب قوم شعث غبر، فقال لهم: هؤلاء نفر من شيعتنا باليمن.. في حديث طويل يسوقانه إلى أن ينتهي إلى أن قال الحسن عليه السلام لبدر: فامض فائتنا بعثمان بن سعيد العمري.

فما لبثنا إلا يسيراً حتى دخل عثمان، فقال له سيدنا أبو محمد عليه السلام: امض يا عثمان، فإنك الوكيل والثقة المأمون على مال الله، واقبض من هؤلاء النفر اليمنيين ما حملوه من المال.

ثم ساقا الحديث إلى أن قالا: ثم قلنا بأجمعنا: يا سيدنا! والله إن عثمان لمن خيار شيعتك، ولقد زدتنا علما بموضعه من خدمتك، وأنه وكيلك وثقتك على مال الله تعالى.

قال: نعم واشهدوا علي أن عثمان بن سعيد العمري وكيلي وأن إبنه محمداً وكيل إبني مهديكم"[1].

وبذلك أدخل الإمام عليه السلام (أيدهم الله) مرحلة الاتصال بالمعصوم عبر وكلائه ونوابه تمهيداً لزمن الغيبة صغرى وكبرى.

واضح بأقل التفات أن في هذا التوجيه من الإمام العسكري عليه السلام

---

١ - الغيبة - الشيخ الطوسي - ص ٣٥٥ - ٣٥٦

دلالة واضحة على عدم الاعتراف بسلطة الباطل، وعدم الاعتراف هذا جاء عملياً حتى لا تأخذه أقلام التأويل بألوانها الباهتة.

وحتى يكتمل التوازن الفاصل أفرد الإمام عليه السلام مساحة مجزية لتفعيل المناظرات العلمية مع المخالفين والمستشكلين ليثبت ضرورة التمكن العلمي في الحركة الرسالية الصحيحة، كما وأظهر من خلالها أهمية مواجهة الإشكالات الفكرية بالدليل والبرهان لا بالفوضى وضرب حامل الإشكال كما هو حاصل عندنا اليوم!!

لقد استمرت حالة القلق والإرباك التي يسببها الفكر الرسالي الرصين في دك حصون الباطل دون هوادة حتى استن المعتمد العباسي بسنة أسلافه في تصفية الأشراف فأقدم على دس السم للإمام العسكري عليه السلام.. فكان ما كان ومضى إمامنا مظلوماً شهيداً.

الـغـديـر
والإمام المهدي المنتظر (عجل اللهم فرجه الشريف)

مما مضى أردت القول بأننا لا نتمكن من فهم الغدير إلا بقراءة الثقلين قراءة موضوعية على ضوء وهدي من فلسفة الدين التي أشرنا إليها في مطع الكلام، وحتى نبدأ في بحث العلاقة بين الغدير وقضيتنا الكبرى في غيبة إمامنا وقائدنا المهدي المنتظر (أرواحنا فداه) يجدر بنا أولاً استعراض الخطبة الغديرية للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

"الحمد لله الذى علا فى توحده، و دنا فى تفرده، و جل فى سلطانه، و عظم فى أركانه، و أحاط بكل شئ علما و هو فى مكانه، و قهر جميع الخلق بقدرته و برهانه، مجيداً لم يزل، محموداً لا يزال، بارئ المسموكات و داحي المدحوات و جبار الارض و السماوات، قدوس سبوح رب الملائكة و الروح، متفضل على جميع من برأه، متطول على من أدناه، يلحظ كل عين والعيون لا تراه، كريم حليم ذو أناة، قد وسع كل شئ رحمته، و منَّ عليهم بنعمته، لا يعجل بانتقامه، و لا يبادر إليهم بما استحقوا من عذابه، قد فهم السرائر و علم الضمائر، و لم تخف عليه المكنونات، و لا اشتبهت عليه الخفيات، له الاحاطة بكل شئ والغلبة على كل شئ، والقوة فى كل شئ، والقدرة على كل شئ،

و ليس مثله شئ، وهو منشئ الشئ حين لا شئ، دائم قائم بالقسط، لا اله الا هو العزيز الحكيم، جلَّ عن أن تدركه الابصار و هو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير، لا يلحق أحد وصفه من معاينة، ولا يجد أحد كيف هو من سر وعلانية إلا بما دل عز وجل على نفسه.

وأشهد بأنه الله الذى ملأ الدهر قدسه، والذى يعشى الأبد نوره، والذى ينفذ أمره بلا مشاورة مشير ولا معه شريك فى تقدير ولا تفاوت فى تدبير، صور ما أبدع على غير مثال، و خلق ما خلق بلا معونة من أحد و لا تكلف ولا احتيال، أنشأها فكانت، و برأها فبانت، فهو الله الذى لا اله الا هو المتقن الذى أحسن الصنيعة، العدل الذى لا يجور، والاكرم الذى ترجع اليه الامور.

وأشهد أنه الذى تواضع كل شئ لقدرته، و خضع كل شئ لهيبته، مالك الاملاك، ومفلك الافلاك ومسخر الشمس والقمر، كل يجرى لأجل مسمى، يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل يطلبه حثيثاً، قاصم كل جبار عنيد، ومهلك كل شيطان مريد، لم يكن معه ضد ولا ند، أحد صمد لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد، إله واحد ورب ماجد، يشاء فيمضي و يريد فيقضى، ويعلم فيحصى، ويميت ويحيى، و يفقر ويغنى، ويضحك ويبكى، ويمنع ويعطى، له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شئ قدير، يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل لا إله إلا هو العزيز الغفار، مجيب الدعاء ومجزل العطاء، محصي

الانفاس ورب الجنة والناس، لا يشكل عليه شئ ولا يضجره صراخ المستصرخين ولا يبرمه إلحاح الملحين، العاصم للصالحين، الموفق للمفلحين و مولى العالمين، الذى استحق من كل خلق أن يشكره ويحمده.

أحمده على السراء والضراء والشدة والرخاء، وأؤمن به وبملائكته وكتبه ورسله، أسمع أمره وأطيع وأبادر إلى كل ما يرضاه، وأستسلم لقضائه رغبة فى طاعته وخوفا من عقوبته، لأنه الله الذى لا يؤمن مكره ولا يُخاف جوره، أقر له على نفسى بالعبودية، وأشهد له بالربوبية، وأؤدى ما أوحى الي حذراً من أن لا أفعل فتحل بى منه قارعة لا يدفعها عنى أحد وإن عظمت حيلته، لا اله الا هو، لانه قد أعلمنى أنى إن لم أبلغ ما أنزل الي فما بلغت رسالته، و قد ضمن لى تبارك وتعالى العصمة، وهو الله الكافى الكريم.

فأوحى الي: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ من رَّبِّكَ﴾ فى علي ـ يعنى فى الخلافة لعلى بن أبى طالب عليه السلام ـ ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

معاشر الناس، ما قصرت فى تبليغ ما أنزل الله تعالى إلي وأنا مبين لكم سبب نزول هذه الآية، أن جبرئيل عليه السلام هبط إلي مِراراً ثلاثاً يأمرني عن السلام ربى ـ وهو السلام ـ أن أقوم فى هذا المشهد فأعلم كل أبيض وأسود أن على بن أبي طالب عليه السلام أخى و وصيى وخليفتى، والإمام

من بعدى، الذى محله منى محل هارون من موسى إلا أنه لا نبى بعدى، وهو وليكم بعد الله ورسوله، و قد أنزل الله تبارك وتعالى على بذلك آية من كتابه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، وعلي بن أبى طالب عليه السلام أقام الصلاة وآتى الزكاة وهو راكع يريد الله عز وجل فى كل حال، و سألت جبرئيل أن يستعفي لي عن تبليغ ذلك إليكم أيها الناس لعلمى بقلة المتقين و كثرة المنافقين وإدغال الآثمين وختل المستهزئين بالإسلام، الذين وصفهم الله فى كتابه بأنهم يقولون بألسنتهم ما ليس فى قلوبهم ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم، وكثرة أذاهم لي غير مرة حتى سمونى أدنا، و زعموا أني كذلك لكثرة ملازمته إياى وإقبالى عليه، حتى أنزل الله عز و جل فى ذلك قرآنا: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيِقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ ـ على الذين يزعمون أنه أذن ـ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، ولو شئت أن أسمي بأسمائهم لسميت، وأن أومي إليهم بأعيانهم لأومأت، وأن أدل عليهم لدللت، ولكني والله فى أمورهم قد تكرمت، وكل ذلك لا يرضي الله منى إلا أن أبلغ ما أنزل إلي.

ثم تلى صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ –في علي– وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

فاعلموا معاشر الناس، إن الله قد نصبه لكم ولياً وإماماً مفترضاً طاعته على المهاجرين والانصار وعلى التابعين لهم بإحسان، وعلى

البادي والحاضر وعلى الأعجمى والعربى، والحر والمملوك، والصغير والكبير، وعلى الأبيض والأسود، وعلى كل موحد. ماض حكمه، جائز قوله، نافذ أمره، ملعون من خالفه، مرحوم من تبعه، ومن صدَّقه فقد غفر الله له ولمن سمع منه وأطاع له.

معاشر الناس، إنه آخر مقام أقومه فى هذا المشهد، فاسمعوا وأطيعوا وانقادوا لأمر ربكم، فإن الله عز وجل هو مولاكم وإلهكم، ثم من دونه رسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم وليكم القائم المخاطب لكم، ثم من بعدى علي وليكم وإمامكم بأمر الله ربكم، ثم الإمامة فى ذريتى من ولده الى يوم تلقون الله عز وجل و رسوله.

لا حلال إلا ما أحله الله، ولا حرام إلا ما حرمه الله، عرَّفنى الحلال والحرام، وأنا أفضيت بما علمنى ربى من كتابه وحلاله وحرامه اليه.

معاشر الناس، ما من علم إلا وقد أحصاه الله في، وكل علم علمت فقد أحصيته فى إمام المتقين، وما من علم إلا علمته علياً، وهو الإمام المبين.

معاشر الناس، لا تضلوا عنه ولا تنفروا منه، و لا تستنكفوا من ولايته، فهو الذى يهدي إلى الحق ويعمل به، ويزهق الباطل وينهى عنه، ولا تأخده فى الله لومة لائم، ثم إن أول من أمن بالله ورسوله، وهو الذى فدى رسوله بنفسه، وهو الذى كان مع رسول الله ولا أحد يعبد الله مع رسوله من الرجال غيره.

معاشر الناس، فضِّلُوه فقد فضَّلَه الله، واقبلوه فقد نصبه الله.

معاشر الناس، إنه إمام من الله، و لن يتوب الله على أحد أنكر ولايته، و لن يغفر الله له، حتماً على الله أن يفعل ذلك بمن خالف أمره فيه، وأن يعذبه عذاباً نكراً أبد الأبد ودهر الدهور، فاحذروا أن تخالفوه فتصلوا ناراً وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين.

أيها الناس، بى والله بشر الأولون من النبيين والمرسلين، وأنا خاتم الانبياء والمرسلين، والحجة على جميع المخلوقين من أهل السماوات والأرضين، فمن شك فى ذلك فهو كافر كفر الجاهلية الأولى، ومن شك فى شئ من قولى هذا، فقد شك فى الكل منه، والشاك فى ذلك فله النار.

معاشر الناس، حبانى الله بهذه الفضيلة منّاً منه علي وإحساناً منه إلي، ولا إله إلا هو، له الحمد مني أبد الآبدين ودرهر الداهرين على كل حال.

معاشر الناس، فضِّلوا علياً فإنه أفضل الناس بعدي من ذكر وأنثى، بنا أنزل الله الرزق و بقى الخلق، ملعون ملعون مغضوب مغضوب من رد على قولي هذا ولم يوافقه، ألا إن جبرئيل خبرنى عن الله تعالى بذلك و يقول: (من عادى علياً ولم يتوله فعليه لعنتى وغضبنى، فلتنظر نفس ما قدمت لغد، و اتقوا الله أن تخالفوه فتزل قدم بعد ثبوتها إن الله خبير بما تعملون).

معاشر الناس، إنه جنب الله الذى ذكر فى كتابه فقال تعالى: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى علَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾.

معاشر الناس، تدبروا القرآن وافهموا آياته، وانظروا إلى محكماته، و لا تتبعوا متشابهه، فوالله لن يبين لكم زواجره ولا يوضح لكم تفسيره إلا الذى أنا آخذ بيده و مصعده الي ـ وشائل بعضده ـ ومعلمكم أن من كنت مولاه فهذا علي مولاه، وهو علي بن أبى طالب عليه السلام أخي ووصيي، وموالاته من الله عز و جل أنزلها علي.

معاشر الناس، إن علياً والطيبين من ولدي هم الثقل الأصغر، والقرآن الثقل الاكبر، فكل واحد مبني عن صاحبه وموافق له، لن يفترقا حتى يردا على الحوض، هم أمناء الله فى خلقه وحكماؤه فى أرضه، ألا وقد أديت، ألا وقد بلغت، ألا وقد أسمعت، ألا وقد أوضحت، ألا وإن الله عز وجل قال وأنا قلت عن الله عز و جل، ألا إنه ليس أميرالمؤمنين غير أخي هذا، و لا تحل إمرة المؤمنين بعدي لأحد غيره.

(ثم ضرب بيده إلى عضده فرفعه، و كان منذ أول ما صعد رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم) شال علياً حتى صارت رجله مع ركبة رسول الله (صلى الله عليه و آله وسلم)، ثم قال:

معاشر الناس، هذا علي أخي ووصيى وواعي علمي وخليفتي على أمتي وعلى تفسير كتاب الله عز وجل والداعى إليه، والعامل بما يرضاه،

و المحارب لأعدائه، والموالي على طاعته، والناهى عن معصيته، خليفة رسول الله وأميرالمؤمنين والامام الهادي، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بأمر الله، أقول ما يبدل القول لدي بأمر ربى..

أقول: اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه والعن من أنكره واغضب على من جحد حقه؛ اللهم إنك أنزلت علي أن الامامة بعدي لعلي وليك عند تبيانى ذلك، ونصبى إياه بما أكملت لعبادك من دينهم وأتممت عليهم بنعمتك ورضيت لهم الاسلام دينا، فقلت: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾؛ اللهم إني أشهدك وكفى بك شهيداً أنى قد بلغت.

معاشر الناس، إنما أكمل الله عز وجل دينكم بإمامته، فمن لم يأتم به وبمن يقوم مقامه من ولدى من صلبه إلى يوم القيامة والعرض على الله عز و جل، فأولئك الذين حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون، لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون.

معاشر الناس، هذا علي أنصركم لي وأحقكم بي وأقربكم إلي وأعزكم علي، والله عز وجل وأنا عنه راضيان، وما نزلت آية رضى إلا فيه، وما خاطب الله الذين آمنوا إلا بدأ به، ولا نزلت آية مدح فى القرآن إلا فيه، و لا شهد بالجنة فى ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنسَانِ﴾ إلا له، ولا أنزلها فى سواه، ولا مدح بها غيره.

معاشر الناس، هو ناصر دين الله والمجادل عن رسول الله، وهو التقي النقي الهادي المهدي، نبيكم خير نبي و وصيكم خير وصي وبنوه خير الأوصياء.

معاشر الناس، ذرية كل نبي من صلبه وذريتي من صلب علي.

معاشر الناس، إن إبليس أخرج آدم من الجنة بالحسد، فلا تحسدوه فتحبط أعمالكم و تزل أقدامكم، فإن آدم أهبط إلى الأرض بخطيئة واحدة وهو صفوة الله عز و جل، فكيف بكم وأنتم أنتم ومنكم أعداء الله، ألا إنه لا يبغض علياً إلا شقي، ولا يتوالى علياً إلا تقي، ولا يؤمن به إلا مؤمن مخلص، وفي علي واللهِ نزلت سورة والعصر.

معاشر الناس، قد استشهدت الله وبلغتكم رسالتي، وما على الرسول إلا البلاغ المبين.

معاشر الناس، ﴿اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

معاشر الناس، آمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزل معه من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها.

معاشر الناس، النور من الله عز وجل في، ثم مسلوك فى علي ثم فى النسل منه إلى القائم المهدى الذى يأخذ بحق الله وبكل حق هو لنا، لأن الله عز و جل قد جعلنا حجة على المقصرين والمعاندين والمخالفين

والخائنين والاثمين والظالمين من جميع العالمين.

معاشر الناس، أنذركم أني رسول الله قد خلت من قبلي الرسل أفإن مت أو قتلت انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين، ألا وإن علياً هو الموصوف بالصبر والشكر، ثم من بعده ولدي من صلبه.

معاشر الناس، لا تمُنوا على الله إسلامكم فيسخط عليكم ويصيبكم بعذاب من عنده إنه لبالمرصاد.

معاشر الناس، إن سيكون من بعدي أئمة يدعون إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون.

معاشر الناس، إن الله وأنا بريئان منهم.

معاشر الناس، إنهم وأنصارهم وأشياعهم وأتباعهم فى الدرك الأسفل من النار و لبئس مثوى المتكبرين، ألا إنهم أصحاب الصحيفة فلينظر أحدكم فى صحيفته.

قال: فذهب على الناس إلا شرذمة منهم أمر الصحيفة.

معاشر الناس، إني أدعها إمامة ووراثة فى عقبي إلى يوم القيامة، و قد بلغت ما أمرت بتبليغه حجة على كل حاضر وغائب وعلى كل أحد ممن شهد أو لم يشهد ولد أو لم يولد، فيبلغ الحاضر الغائب، والوالد الولد

الى يوم القيامة، و سيجعلونها ملكاً واغتصابا، ألا لعن الله الغاصبين والمغتصبين، وعندها ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾ ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾. ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ﴾

معاشر الناس، إن الله عز وجل لم يكن يذركم على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب، وما كان الله ليطلعكم على الغيب.

معاشر الناس، إنه ما من قرية إلا والله مهلكها بتكذيبها، و كذلك يهلك القرى وهي ظالمة كما ذكر الله تعالى، وهذا علي إمامكم و وليكم، وهو مواعيد الله والله يصدق ما وعده.

معاشر الناس، قد ضل قبلكم أكثر الأولين، والله قد أهلك الأولين وهو مهلك الآخرين، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ*ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ*كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ*وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾.

معاشر الناس، إن الله قد أمرني ونهاني، وقد أمرت علياً ونهيته، فعلم الأمر والنهى من ربه عز وجل، فاسمعوا لأمره تسلموا، وأطيعوا تهتدوا، وانتهوا نهيه ترشدوا، وصيروا إلى مراده ولا تتفرق بكم السبل عن سبيله.

معاشر الناس، أنا صراط الله المستقيم الذى أمركم باتباعه، ثم علي من بعدي، ثم ولدي من صلبه أئمة يهدون بالحق وبه يعدلون.

(ثم قرأ الفاتحة وقال: في نزلت وفيهم نزلت ولهم عمَّت وإياهم خصت، أولئك أولياء الله لا خوف عليهم و لا هم يحزنون، ألا إن حزب الله هم الغالبون، ألا ان أعداء علي هم أهل الشقاق والنفاق والحادون وهم العادون، وإخوان الشياطين الذين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا.

ألا إن أولياءهم الذين ذكرهم الله فى كتابه فقال عز وجل: ﴿لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ...﴾، ألا إن أولياءهم الذين وصفهم الله عز و جل فقال: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾، ألا إن أولياءهم الذين يدخلون الجنة آمنين، و تتلقاهم الملائكة بالتسليم أن: ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾، ألا إن أولياءهم الذين قال لهم الله عز وجل: ﴿يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾، ألا إن أعداءهم يصلون سعيراً، ألا أن أعداءهم الذين يسمعون لجهنم شيهقاً وهي تفور ولها زفير، ألا إن أعداءهم الذين قال الله فيهم: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾، ألا إن أعداءهم الذين قال الله عز و جل: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ * قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾، ألا إن أولياءهم الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة و أجر كبير.

معاشر الناس، شتان ما بين السعير والجنة، عدونا من ذمه الله و لعنه، وولينا من مدحه الله وأحبه.

معاشر الناس، ألا وإني مندر و علي هاد.

معاشر الناس، إني نبي وعلي وصيي، ألا إن خاتم الائمة منا القائم المهدى (صلوات الله عليه)، ألا إنه الظاهر على الدين، ألا إنه المنتقم من الظالمين، ألا إنه فاتح الحصون وهادمها، ألا إنه قاتل كل قبيلة من أهل الشرك، ألا إنه المدرك بكل ثار لأولياء الله عز و جل، ألا إنه الناصر لدين الله، ألا إنه الغراف فى بحر عميق، ألا إنه يسم كل ذى فضل بفضله وكل ذى جهل بجلهه، ألا إنه خيرة الله ومختاره، ألا إنه وارث كل علم و المحيط به، ألا إنه المخبر عن ربه عز وجل والمنبه بأمر ايمانه، ألا إنه الرشيد السديد، ألا إنه المفوض اليه، ألا إنه قد بشر به من سلف بين يديه، ألا إنه الباقى حجة ولا حجة بعده، و لا حق الا معه، و لا نور إلا عنده، ألا إنه لا غالب له ولا منصور عليه، ألا وإنه ولي الله فى أرضه، وحكمه فى خلقه، وأمينه فى سره وعلانيته.

معاشر الناس، قد بينت لكم وأفهمتكم، وهذا علي يفهمكم بعدي، ألا وأنى عند انقضاء خطبتي أدعوكم إلى مصافقتى على بيعته والاقرار به، ثم مصافقته بعدي، ألا وأني بايعت الله وعلي قد بايعنى، وأنا آخذكم بالبيعة له عن الله عز و جل ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾.

معاشر الناس، ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ اللّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾.

معاشر الناس، حجوا البيت، فما ورده أهل بيت إلا استغنوا، ولا تخلفوا عنه إلا افتقروا.

معاشر الناس، ما وقف بالموقف مؤمن إلا غفر الله له ما سلف من ذنبه الى وقته ذلك، فإذا انقضت حجته استؤنف عمله.

معاشر الناس، الحجاج معانون ونفقاتهم مخلفة، والله لا يضيع أجر المحسنين.

معاشر الناس، حجوا البيت بكمال الدين والتفقه، ولا تنصرفوا عن المشاهد إلا بتوبة وإقلاع.

معاشر الناس، أقيموا الصلاة وأتو الزكاة كما أمركم الله عز وجل، فلئن طال عليكم الأمد فقصرتم أونسيتم، فعلي وليكم، ومبين لكم الذي نصبه الله عز وجل بعدي، ومن خلفه الله مني وأنا منه، يخبركم بما تسألون عنه، و يبين لكم ما لا تعلمون .

ألا إن الحلال و الحرام أكثر من أن أحصيهما وأعرفهما، فآمر بالحلال و أنهى عن الحرام فى مقام واحد، فأمرت أن آخذ البيعة منكم والصفقة لكم بقبول ما جئت به عن الله عز وجل فى علي أمير المؤمنين والائمة من بعده الذين هم مني ومنه، أئمة قائمة، منهم المهدي ـ إلى يوم القيامة الذى يقضى بالحق.

معاشر الناس، وكل حلال دللتكم عليه، و كل حرام نهيتكم عنه، فإني لم أرجع عن ذلك و لم أبدل، ألا فاذكروا ذلك واحفظوه وتواصوا به ولا تبدلوا ولا تغيروه، ألا وإنى أجدد القول: ألا فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وامروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، ألا وإن رأس الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أن تنتهوا إلى قولي و تبلغوه من لم يحضر وتأمروه بقبوله وتنهوه عن مخالفته، فإنه أمر من الله عز وجل ومني، ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر إلا مع إمام معصوم.

معاشر الناس، القرآن يعرفكم أن الائمة من بعده ولده، وعرفتكم أنهم مني و منه، حيث يقول الله فى كتابه: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ وقلت: «لن تضلوا ما إن تمسكتم بهما».

معاشر الناس، التقوى التقوى، احذروا الساعة كما قال الله عز و جل: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾، اذكروا الممات والحساب والموازين والمحاسبة بين يدى رب العالمين، والثواب والعقاب، فمن جاء بالحسنة أثيب عليها ومن جاء بالسيئة فليس له فى الجنان نصيب.

معاشر الناس، إنكم أكثر من أن تصافقوني بكف واحدة، وقد أمرني الله عز وجل أن آخذ من ألسنتك الإقرار بما عقدت لعلي من إمرة المؤمنين، ومن جاء بعده من الائمة مني و منه على ما أعلمتكم أن ذريتى من صلبه، فقولوا بأجمعكم: «إنا سامعون مطيعون راضون منقادون لما بلغت عن ربنا و ربك فى أمر علي وأمر ولده من صلبه من

الائمة، نبايعك على ذلك بقلوبنا وأنفسنا وألسنتنا وأيدينا، على ذلك نحيى ونموت ونبعث، ولا نغير ولا نبدل ولا نشك ولا نرتاب، ولا نرجع عن عهد ولا ننقض الميثاق ونطيع الله ونطيعك وعلياً أمير المؤمنين وولده الائمة الذين ذكرتهم من ذريتك من صلبه بعد الحسن و الحسين» اللذين قد عرفتكم مكانهما مني ومحلهما عندي ومنزلتهما من ربى عز وجل، فقد أديت ذلك إليكم، وأنهما سيدا شباب أهل الجنة، و أنهما الامامان بعد أبيهما علي وأنا أبوهما قبله.

وقولوا: «أطعنا الله بذلك وإياك وعلياً والحسن والحسين والائمة الذين ذكرت، عهداً وميثاقا مأخوذاً لأمير المؤمنين من قلوبنا وأنفسنا وألسنتنا ومصافقة أيدينا من أدركهما بيده وأقر بهما بلسانه، ولا نبتغى بذلك بدلاً ولا نرى من أنفسنا عنه حولاً أبداً، أشهدنا الله وكفى بالله شهيدا، وأنت علينا به شهيد، وكل من أطاع ممن ظهر واستتر وملائكة الله وجنوده وعبيده والله أكبر من كل شهيد».

معاشر الناس، ما تقولون؟ فإن الله يعلم كل صوت و خافية كل نفس ﴿فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾، ومن بايع فإنما يبايع الله ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾.

معاشر الناس، فاتقو الله وبايعوا علياً أميرالمؤمنين والحسن والحسين والائمة كلمة طيبة باقية، يُهلك الله من غدر، ويرحم الله من وفى ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾.

معاشر الناس، قولوا الذى قلت لكم، وسلموا على علي بإمرة المؤمنين، وقولوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، و قولوا: ﴿الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَـذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّهُ﴾.

معاشر الناس، إن فضائل علي بن أبى طالب عليه السلام عند الله عز وجل، وقد أنزلها القرآن أكثر من أن أحصيها فى مقام واحد، فمن أنبأكم و عرفها فصدقوه.

معاشر الناس، من يطع الله ورسوله وعلياً والائمة الذين ذكرتهم فقد فاز فوزاً عظيماً.

معاشر الناس، السابقون السابقون إلى مبايعته وموالاته والتسليم عليه بإمرة المؤمنين، أولئك هم الفائزون فى جنات النعيم.

معاشر الناس، قولوا ما يرضى اللهُ به عنكم من القول، فإن تكفروا أنتم ومن فى الأرض جميعاً فلن يضر الله شيئاً.

اللهم اغفر للمؤمنين واغضب على الكافرين والحمد لله رب العالمين"[1].

١ - بحار الأنوار - المجلسي - ج٣٧ ص٢٠٤

تصريحات رسالية مباشرة

عندما يصرح المعصوم عليه السلام فإنه يريد أمراً ما، له من الأهمية بحسب موضوعه، فالكلام في الشك بين الثلاث والأربع في الصلاة الرباعية – مثلا– مهم جداً في موضوع الصلاة ومسائل الشكوك، وهكذا بالنسبة إلى سائر كلام الأئمة عليهم السلام وتصريحاتهم، حيث إنهم ليسوا قصصاصين ولا هواة إنشائيات ومطولات أدبية.

إننا عندما نقرأ هذه الخطبة المباركة للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ونحلل اتساقها نجد بأنه صلى الله عليه وآله وسلم يلامس في توجيهاته روح الدين وفلسفته من خلال تقديم الأداة الأوحدية المحققة لغرض خلق الإنسان في هذه الأرض، وحتى تتضح الصورة بجلاء نبدأ أولاً بفرز توجيهات الخطبة ومن ثم الفصل بسؤال منهجي هو الأهم دائماً، وأعني به سؤال: (لماذا).

□ المرحلة الأولى: الفرز:

* محورية الله سبحانه وتعالى في الفكر الإيماني، حيث إنه المقياس الأصل والميزان الحقيقي إذ لا قاهر سواه ولا مؤثر غيره ولا

معتمد إلا عليه، فبمجرد الارتكاز على هذا المبدأ الحق، والأخذ بقوانين السماء الواضحة، والمراهنة الجادة على وعود الله عز وجل في قبال كل قواعد الدنيا وموازنينها فإن النصرة والغلبة النهائية لا شك في أنها للمؤمنين بطيب قلوبهم وطمئنينة نفوسهم.

* لا يمكن لكائن من كان الالتفاف على قوانين السماء مهما علا شأنه واستقوى، فالعلي القدير عالم بخفيات الأمور، وبالتالي فإنه من العبث اللعب في ميدان مخادعة المولى عز وجل.

* الإشارة بوضوح إلى ابتلاء الأمة بطوائف من المنافقين الذين لا تردعهم الروادع لما فرخ في صدورهم من نفاق وكذب وجرأة على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

* لأهمية الأمر وخطورته جعله الله عز وجل في كفة تقابل كل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من أول بعثته الشريفة وحتى هذا اليوم الغديري الأغر، حتى أنه جلَّ شأنه قرر أن يعصم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من الناس وما يحملون في صدورهم من أحقاد وضغائن بعد تصريحه بما أمر به.

* التصريح المباشر بتنصيب علي بن أبي طالب عليه السلام أميراً للمؤمنين وخليفة لرسول رب العالمين.

* بيان فضل علي عليه السلام ومكانته الشامخة في الأرض والسماء.

* التصريح بأهوال العذاب التي سوف تصيب من يخالف هذه الوصية، وفي المقابل التبشير بالنعيم لمن يتمسك بها.

* التصريح بأن الخلافة والإمامة والولاية مستمرة في عقب أمير المؤمنين عليه السلام إلى يوم القيامة.

* التصريح المباشر بحرمة انتحال هذا المنصب لغير من نص عليهم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

* التأكيد على ضرورة إتمام البيعة وعقد المواثيق في نفس المقام.

* عدم إعذار الجاهل بعد أن تم التبليغ في هذه الحشود من المسلمين.

□ المرحلة الثانية: لماذا كل هذا الاهتمام بأمر الولاية والإمامة؟

للاجابة على هذا السؤال فنحن في حاجة الآن إلى الربط بين بعض المفاهيم الرئيسية، فنقول:

خلق الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام وأسكنه الجنة وأباح له كل ما فيها إلا شجرة واحدة فقط هي التي حذره ونهاه عن الاقتراب منها، ولكن الذي حصل أن تدخل إبليس فأغوى آدم وزوجه حت أكلا من الشجرة المنهي عنها مخالفين بذلك ما أمرهم به الله تعالى.

نفهم التالي من هذه الحادثة البشرية الأولى:

* أراد الله عز وجل للخلق الإنساني أن يكون ممثلاً للحق، وذلك بالتزام التعاليم الإلهية بكل دقة.
* لا يمكن التوثق من تمسك الإنسان بالحق إلا بأن يفسح المجال للباطل حتى تدور المعركة فيعرف الغالب فيها.
* انتصر الباطل على عزيمة الإنسان في المعركة الأولى.

بعد هذه الجولة الأولى اتضح ضعف الانسان عن التمسك بالحق عند أي مقاسمة شيطانية كتلك التي أدار إبليس رحاها، وبذلك بدت أهمية إدخاله في معسكر جاد يؤهله للعودة إلى الجنة إذا هو أفلح فيه ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ﴾[1]، أما مادة هذا المعسكر الأرضي فهو القيام بمهام الخلافة الإلهية التي ضعف عزم آدم عليه السلام عن تحملها في الموقف الأول ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[2].

أتضح الآن أن الغرض الأوحد من وجود الإنسان على وجه البسيطة هو القيام بمهام الخلافة الإلهية، وليست الخلافة إلا تطبيقاً لتعاليم السماء وإنفاذها بقوة دون ترك أي مجال للباطل يمارس إبليسيته التي أخرج بها آدم عليه السلام من الجنة، وبذلك نفهم أن وظيفة الخلافة هي

١ - سورة البقرة ٣٦

٢ - سورة البقرة ٣٠

وظيفة صراع بين الحق والباطل، والثبات في هذا الصراع هو الكافل الأوحد لعودة الإنسان لجنته التي كان فيها، وأعلى.

إذا تمكنا من استيعاب هذه المعادلة الكبرى والقضية العظمى نتوجه إلى الله سبحانه وتعالى بالسؤال التالي:

كيف يمكننا نحن البشر الانتصار في هذه المعركة الضروس؟ وما هو السبيل إلى ذلك؟

يأتي الجواب الصريح بأن الذي ينبغي للإنسان فعله هو أن يستفرغ طاقاته في بناء شخصيته الخليفية عن طريق الامتثال التام والدقيق لجميع أبعاد قول الحق عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[1].

إذاً، هناك خط متصل من السماء إلى الوجود الفكري والسلوكي لكل إنسان، وهو خط: (الله – الرسول – ولي الأمر)، والطريق للنجاح في مهمة الخلافة الإلهية هو الخضوع الكامل بالطاعة المطلقة لكل ما يجيء من الله أو الرسول أو ولي الأمر، وهذا يعني أن وجود القائد العام المعصوم ضرورة في معادلة الوجود الإنساني في هذه الأرض.

بذلك نفهم جيداً معنى أن يربط الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم مصير الأمة بإمامة وولاية علي بن أبي طالب والمعصومين من أبنائه عليهم السلام.

١ – سورة النساء ٥٩

□ غديرية الولاية

إن قيام الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بتنصيب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وبأمر من الله تعالى خليفة للمسلمين وإماماً مفترض الطاعة له بعد آخر هو المحور في قضية يوم الغدير، فالتنصيب في واقعه كان تطميناً لجمهور المؤمنين ببقاء القطب القائد قائماً بالحق، وهذا يعني أن المعركة لا تزال مستمرة دائرة الرحى، وهذا يعني وجوب الاستعداد وشد حيازيم الجهاد بشكل دائم، فالغدير بهذه الرؤية ليس غدير علي عليه السلام فقط، بل هو غديره وغدير فاطمة والحسن والحسين والسجاد والباقر والصادق والكاظم والرضا والجواد والهادي والعسكري، ثم أنه غدير المهدي المنتظر عليه السلام؛ فالبعد الشاخص هو أن الغدير كان لرفع راية الحق خفاقة في وجه الباطل مادامت الأرض، ولعل في ذلك تفسير للعداء التاريخي الذي يحمله العالم للشيعة، فهم الممثل الوحيد لجهة الحق المحاربة للباطل دائماً بقيادة معصومة ممتدة من يوم بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وحتى تقوم الراية خفاقة على رؤوس العالمين تحت قيادة المهدي من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

لقد تحمل الأئمة عليهم السلام مسؤولية الغدير كل بحسب الظروف الموضوعية التي لازمت عصره، وبالرغم من تعدد الأدوار إلا أنها تجتمع كلها في مواجهة الباطل واستمرار إقلاقه دون توقف، وهذا ما يتضح جلياً عند تتبعنا الدقيق والموضوعي لسيرتهم الرسالية عليهم السلام.

إني المدعي تولي أئمة الهدى عليه السلام يحتاج إلى إثبات إدعائه بالبرهان العملي، وهو المطلوب من السماء واقعاً بمقتضى قوله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ*كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[1]، فليس المعول في تحقيق الغرض الإلهي على مجرد الاستئناس النفساني بإحياء مظلومية أهل البيت عليهم السلام، ولكن المراد هو تحقيق السعي في رد مفهوم المظلومية على أرض الواقع، وعدم تخدير العقول بأن لا شيء يُحل إلا بظهور القائم المنتظر (أرواحنا فداه)..!

نعم، بالظهور المقدس ينتشر القسط والعدل في كل أرجاء المعمورة، ولكن هذا يأتي كنقطة نهاية لمشوار الحق في مواجهة الباطل ليأتي بعدها اليأس من جهل الإنسان فيكون الصعق بالموت العام ويتبعه النشور فالحساب، أما دورنا نحن في هذا عصور الغيبة فهو إثبات العزم في أبناء آدم عليه السلام بعد أن ضعف هو عنه في بداية الخلق، فنحن اليوم نخوض نفس التجربة التي خاضها آدم عليه السلام، والحال أن النجاح يعني التقدم في مراتب الإنتظار والاقتراب من مرحلة الظهور.

لقد امتدت الحصص التدريبية في ميادين المواجهة بين الحق والباطل حتى عصر الإمام العسكري عليه السلام وفيها تم طرح كل الألوان المستقيمة للحق في حربه الدائمة مع الباطل، ثم جاء دور الدخول في مرحلة الامتحان حيث غياب القائد المعصوم عن الأنظار ليُرى كيف يصنع الشيعي الموالي في حركة الولاء التي يدعي الانتماء إليها وقد خلي

١ - سورة الصف ٣

بينه وبن العدو بعد أن كان من المفترض أن تشرب روحية المواجهة وعقلية الاقدام والتضحية.

لذا فإننا اليوم نعيش عصر القرار، فإما مهادنة الباطل ومسايرته وبالتالي الخروج الحتمي عن المفاهيم التي قدمها الرسول الأكرم ﷺ، أو خوض غمار المعركة والاستعداد للعروج بأرقى أشكال التضحيات في طريق دحض الباطل والانتصار برضا الإمام القائد المهدي (أرواحنا فداه).

إن هذه المعادلة الدقيقة تعني أن عصر الغيبة هو مرحلة التطبيق لامفاهيم الغديرية في كل أبعادها تحت الاستظلال الحقيقي بشعار التسليم المطلق للواحد الأحد قاهر الأولين والآخرين سبحانه وتعالى.

حركة الغدير الرسالية

عندما ننظر إلى تحرك المعصومين عليهم السلام في مسيرة المواجهة مع الباطل نتمكن من تلخيصها على النحو التالي:

* بداية بدعوة الكفار إلى دين الله تعالى، وهذا يعني التركيز على أظهار محاسن الدين الجديد وما يحمل في روحه من مضامين شامخة تستوعب كل إنسان مهما كان مقامه أو لونه أو جنسه، وهذه المرحلة تقتضي المحافظة على سعة التعامل بالعفو والتسامح لما في ذلك من استمالة لقلوب الكافرين عموماً، وهي الفترة التي ساد فيها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قائداً معصوماً لا يجرؤ أحد على مجابهته.

* عندما ينقلب الأوائل وبسرعة غير متوقعة على الوصية الأهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهذا يعني أنهم لا يكترثون بسحق أي قيمة من قيام الإسلام، إذ أنه لا قيمة تعلو قيمة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لذا فإن الحركة الرسالية إزاء هذا الباطل كانت حذرة دقيقة إلى أبعد الحدود، إلا أن هذا لا يعني السكوت والتخلي عن المواجهة، فقد كان أمير المؤمنين عليه السلام محافظاً بقوة على البقاء في مقام الإظهار

لمكانته وتذكير الناس بما قاله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيه من الفضائل والمكارم. وقد امتد هذا النهج حتى الثلاثين من الهجرة حيث استلم علي عليه السلام الخلافة رسمياً فبدأ بحمل السيف عندما فرضت عليه المواجهة أولاً في الجمل مع المتعذرين بدم الخليفة الثالث، وثانياً في صفين لإبطال ألاعيب معاوية بن أبي سفيان، وثالثاً في النهروان في محالة لقطع دابر الخوارج.

* إعداد الناس لمواجهة دامية تطل برأسها، فتراجع الإمام الحسن عليه السلام عن القتال في قبال معاوية كان يعني بأن فتيل الحرب العسكرية قد وجد بالفعل، وأن النية قد بيتت، ولذلك أخذ الإمامان الحسن والحسين عليهما السلام في فرز أصحابهما وتصفيتهم بشكل دقيق استعداداً لمواجهة حتمية مع ميلاد السفور بالبطال اليزيدي وبنطفة معاوية لا شك، ومن هنا نفهم ضرورة المواجهة القوية والجادة والتي لا تتوقف فيها التضحيات عند حد إذا كان الباطل في أطوار البداية.

* صيانة الروح الرسالية بالمداومة على الاتصال بالله تعالى والتضرع إليه بما يحب ويرضا.

* مرحلة المناورات للحفاظ على عنفوان الحق وقدرته على مواجهة الباطل مواجهة جادة ومباشرة متى ما اقتضت الحاجة، والتعويل في كل ذلك ركيزة أساس وهي ركيزة التوعية العلمية والثقافية في

جميع أبعاد الحياة.

* عدم معارضة الحركات النضالية بل ودعمها كلما سنحت الفرصة.

* رفض فكرة طأطأة الرؤوس مهما اشتدت بطشة الباطل، بل في قبالها تزداد وتيرة العمل التوعوي والمراهنة دائماً على الترقي العلمي والثقافي.

* ترسيخ دور القيادة العلمائية المتصلة في روحها مع المعصوم عليه السلام.

* تنمية الثقة بالنفس والقدرة على إدارة الأمور بما يتوافق وكليات الفكر الرسالي المسؤول.

على هذه المستويات والأبعاد كان العمل الغديري الرسالي للمعصومين عليهم السلام، وهذا هو فقط الذي أوصل لنا التشيع بمعالمه المقاومة لكل تشويه أو تحريف.

نتتهي هنا إلى أن مفهوم الغدير كان هو الانطلاقة الرسالية لحركة المعصومين عليهم السلام في تفعيل فلسفة الدين وممارستها على أرض الواقع، ففي الثامن عشر من ذي الحجة كان إبراز الغدير لفظاً على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإلا فهو متحقق في أصل الرسالة السماوية، وبذلك فإن نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم قد أطلق أول خط رسالي غديري بتبليغ رسالة السماء كاملة منذ اليوم الأول من بعثته الشريفة، وتوالى من بعده غدير الرسالة في علي والحسنين والتسعة المعصومين من ولد الحسين عليهم السلام، فديننا الحق هو دين غدير خم مفهوماً لا صورة فقط.

وتبقى غديريات

هذا هو ديننا دين غديري مشيد على التنافر بين الحق والباطل، متقوم بقوة مواجهة الحق للباطل، أما التهاون أو التخاذل في تحقيق الدين من خلال مقومه فلا شك في أنه مستوجب لغضب الله تعالى وسخصه، إذ أن الحال شبيه بقضية آدم والشجرة، وحاله حين أهبطه الله تعالى إلى الأرض، وهذا يعني أن المتخاذل أو المتهاون لم يتأثر بالعقاب ولم يرعوي تنبيهات السماء، فالويل الويل له إن لم ينتبه، والويل الويل له إن لم ينزجر.

حق، وباطل.. مواجهة دائمة.. انتصار للحق، وسحق للباطل.. رسالية صادقة، وإلا فهي أموي عباسية فاسدة مفسدة.. إما أن أكون غديرياً، وإلا فالويل الويل..

هكذا هي حازمة صارمة، ولله الحمد والمنة على نبض لا يزال في القلب يحرك فيه الأمل، فنبدأ بمراجعة مواقفنا من الغدير لنرى إن كنا غديريين أو أننا ....

* الظلم من الباطل، والحق لا يقبل الظلم ولا يقبل السكوت عنه، فإن كنت ممن يحاربون الظلم بحسب محله، كأن لو صدر ظلم ممن لم

يُعرف بالظلم فعليك نصيحته ورده بالتي هي أحس إبتداء، أما الظلم من الظالم الظلوم فثق بأنك غير غديري إن لم تواجهه مواجهة جادة صارمة، فقد قال أبو عبد الله الحسين عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد قال في حياته: «من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، ناكِثاً لعهد الله، مُخالِفاً لِسُنَّةِ رسول الله، يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان ثم لم يغير بقولٍ ولا فعلٍ، كان حقيقاً على الله أن يُدخِلَه مدخله»[1].. فأين ترى غديريتك من هذا؟

* إغاثة الملهوف فيها رضا الله تعالى، وبالتالي فهي حق، فهل أنت إذا وجدت ملهوفاً يطلب حاجة سارعت إلى قضاء حاجته، بل وهل تقدم السعي فيها على مصالحك الخاصة؟ هذا وقد قال أمير المؤمنين عليه السلام: "من كفارات الذنوب العظام إغاثة الملهوف، والتنفيس عن المكروب"[2].. فأين ترى غديريتك من هذا؟

* من الباطل إخافة الناس من غير دافع يرضاه الله تعالى، ومن أشد السياط التي تخيف الناس سوط اللسان الذي لا يتورع عن قبائح الأقوال، وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: " من خاف الناس لسانه فهو في النار"[3]، واعظم من ذلك من يسعى في إثارة الفتن وتمزيق الناس والتفريق بين الأحبة والمتآلفين، وهذا النوع من البشر حذر منهم أمير المؤمنين عليه السلام أيما تحذير، فقد قال واصفاً إياهم بكل دقة:

١ – بحار الأنوار – العلامة المجلسي – ج ٤٤ – ص ٣٨٢

٢ – وسائل الشيعة (آل البيت) – الحر العاملي – ج ١٦ – ص ٣٧٣

٣ – الكافي – الشيخ الكليني – ج ٢ – ص ٣٢٧

* "أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحذركم أهل النفاق فإنهم الضالون المضلون، والزالون المزلون، يتلونون ألواناً، ويفتنون أفتناناً، ويعمدونكم بكل عماد، ويرصدونكم بكل مرصاد. قلوبهم دوية، وصفاحهم نقية. يمشون الخفاء، ويدبون الضراء. وصفهم دواء، وقولهم شفاء، وفعلهم الداء العياء. حسدة الرخاء، ومؤكدوا البلاء، ومقنطوا الرجاء. لهم بكل طريق صريع، وإلى كل قلب شفيع، ولكل شجو دموع. يتقارضون الثناء، ويتراقبون الجزاء. إن سألوا ألحفوا، وإن عدلوا كشفوا، وإن حكموا أسرفوا. قد أعدوا لكل حق باطلاً، ولكل قائم مائلاً، ولكل حي قاتلاً، ولكل باب مفتاحاً، ولكل ليل مصباحاً. يتوصلون إلى الطمع باليأس ليقيموا به أسواقهم، وينفقوا به أعلاقهم. يقولون فيشبهون، ويصفون فيموهون. قد هونوا الطريق، وأضلعوا المضيق. فهم لمة الشيطان، وحمة النيران ﴿أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾"[1].. فأين ترى غديريتك من هذا؟

* باطل تشمئز منه النفوس وتقرف من عفونته القلوب، وهو باطل الغِيبة والكلام عن المؤمنين في ظهورهم بما لا يرضون، والغِيبة كما وصفها المعصوم عليه السلام أنها إدام كلاب النار، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "من اغتاب مؤمنا بما فيه، لم يجمع الله بينهما في الجنة أبدا، ومن اغتاب مؤمنا بما ليس فيه، فقد انقطعت العصمة بينهما، وكان المغتاب

١ - نهج البلاغة - خطب الإمام علي (ع) - ج ٢ - ص ١٦٦ - ١٦٧

في النار خالدا فيها وبئس المصير"[1].. فأين ترى غديريتك من هذا؟

* في كثير من مجتمعاتنا التي من المفترض أن تكون إيمانية ولائية ينتشر الغناء والاستماع إلى المعازف حتى أن ذلك أصبح من مقومات ليالي الزواج والزفاف التي لا يتصور البعض أن يكون عرس بلا أغاني ومعازف، هذا وقد سئل الإمام الرضا عليه السلام عن هدير الحمام الراعبية[2] ماذا يعني؟ فقال عليه السلام: « تدعو على أهل المعازف والقيان والمزامير والعيدان»[3]، فحتى الحمام في السماء تستنكر عليكم أيها المستخفون بهذا الباطل.. والآن.. أين ترى غديريتك من هذا؟

* تمشي المرأة بين الرجال بعباءتها التي تحكي مشيتها، بل وتحكي مفاتنها بشكل واضح، هذا وأمر العطر مما لا كلام فيه؛ حيث إنه قد أصبح من الأمور الطبيعية جداً.. أوليس هذا من الباطل الصريح؟ أوليس تزين المرأة وخروجها من دارها بكامل زينتها محل سخط الله تعالى؟ وهذا هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: "أي امرأة تطيبت ثم خرجت من بيتها فهي تلعن حتى ترجع إلى بيتها متى ما رجعت"[4]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «نهى (الله) أن تتزين المرأة لغير زوجها، فإن فعلت كان حقاً على الله عز وجل أن يحرقها بالنار»[5].. فأين ترين غديريتك من هذا؟

---

١ - الأمالي - الشيخ الصدوق - ص ١٦٤

٢ - نوع من أنواع الحمام له صوت خاص.

٣ - عيون أخبار الرضا (ع) - الشيخ الصدوق - ج ٢ - ص ٢٢٢

٤ - الكافي - الشيخ الكليني - ج ٥ - ص ٥١٨ - ٥١٩

٥ - الأمالي - الشيخ الصدوق - ص ٥١٠

شقشقات غديرية.. كانت فقرت، والمأمول أن تقر في صدور المؤمنين الذي أخذتهم هذه الدنيا ببهارجها فغفلوا عن المعاني الشامخة للغدير والمفاهيم العالية في فلسفته السماوية الحقة، فليس الغدير احتفال بيوم نصب فيه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم علياً عليه السلام خليفة على المسلمين من بعده، ولكنه يوم عودة الإنسان إلى الحق مجرداً الحسام الصارم لمواجهة الشيطان بكل ألوانه، وهذا هو الذي خلق من أجله الإنسان في هذه الأرض، وهو الطريق الواحد الأوحد الذي يكفل العودة إلى الجنة التي أُخرج منها آدم عليه السلام..

إنه يوم العودة الكبرى، ولذلك قال عنه الإمام الصادق عليه السلام: "هو عيد الله الأكبر"[1].

إلى هنا وأسأل الله العلي القدير أن يوفقني وإياكم للوعي بنعمة الولاية وأن نفهم جيداً بأن الطريق الغديري هو طريق التضحية بالأغلى والأنفس، وهو طريق التعلق بوعود الله سبحانه وتعالى تعلقاً مجرداً لا حسابات فيه ولا موازين غير تلك التي قررت في القرآن الكريم والسيرة

١ - تهذيب الأحكام - الشيخ الطوسي - ج٣ ص١٤٣

الطاهرة لأهل البيت عليهم السلام، وهذه القضية لا تحتمل أي تأويل أو تردد، فهي واضحة جلية تطلب الولاء الحق والروح الرسالية الطليعية الوثابة، وهذا ما حاولت توضيحه في صفحات هذا الكتاب.

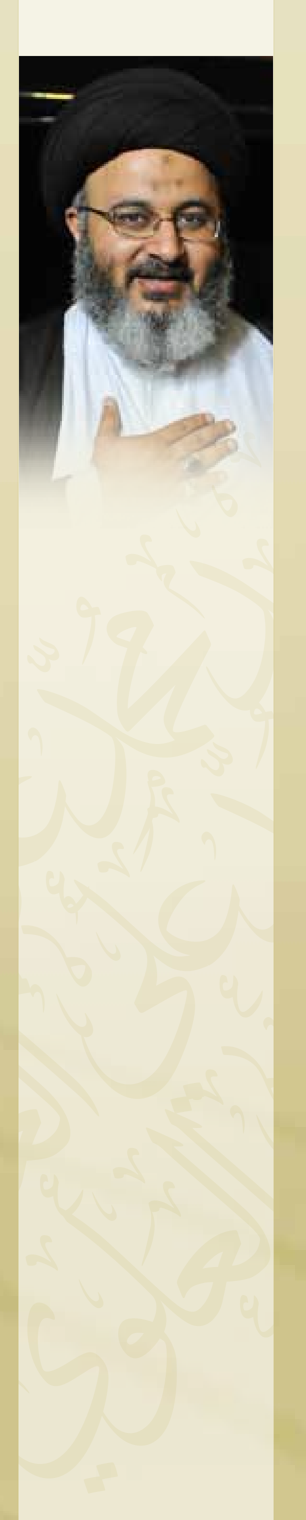
ثم أنني أستغفر الله لي ولكم وأسأله العزة والكرامة لشيعة محمد وآل محمد عليهم السلام.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محمد علي العلوي

البحرين

الفهرس



للمؤلف:

- الغناء وتحديد المصير
- آه ياشهر رمضان
- رسالة الإصلاح من كربلاء
- تأملات واسقاطات قرآنية
- المحاور الأصيلة لنهضة إسلامية جليلة
- منة الرحمن في شهر رمضان
- وصايا لقمان لمن أراد الجنان
- المستخلص (خلاصة الحلقة الأولى من دروس أصول الفقه للشهيد الصدر "قدس سره")
- ضمير الشعائر
- حوار عقائدي
- القرار .. أكمل الفراغ
- عين الحقيقة
- حروف التقوى
- الغدير ومسؤولية المشروع الإلهي (بين يديك)
- محورية المسجد في العمل الرسالي (قيد التحضير للطباعة)
- إحداث التغيير.. استلهامات من حديث أشراط الساعة (قيد التحضير للطباعة)
- ليس منَّا .. قائمة الضياع (قيد التحضير للطباعة)

للتواصل مع المؤلف

الموقع الالكتروني:www.alghadeer-voice.com /alawi
البريد الالكتروني: al_alawi14@live.com

تصميم وإخراج : البروج ميديا هاتف : ٩٧٣+ ٣٦٦١١٨٦٥ ٩٧٣+ ١٧ ٦٩٤٢٧١
albrooj.media@gmail.com - www.albrooj.net